الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٦٧ — ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 167

Lundi - 14 - 9 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولي رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٦٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ جمادي الآخرة سنة ١٣٥٥ — ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

بعد المعاهدة

من الجهـــاد الأصغر
إلى الجهاد الأكبر
للدكتور عبد الوهاب عزام

يروى بعض الصوفية أن الرسول صلوات الله عليه وسلامه كان إذا قفل من غزاة قال : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ؛ ويقولون إن الجهاد الأصغر قتال الأعداء وخوض المعامع وقراع المنايا ، والجهاد الأكبر تقويم النفس وتطهيرها و إعدادها للرقابة على أعمالها والقيام بالعدل فيما بينها وبين الناس ، ثم مجاهدة الأنفس الأخرى بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالرغبة والرهبة واللين والشدة ، حتى تستقيم على السنن القويم ، وتحتمل كل ما يحمّلها الواجب ، وتأخذ كل ما يعطيها الحق ؛ وحتى يجتمع الناس على شرع لا تفرّقهم الأهواء ، ولا تثور بينهم البغضاء ؛ ثم النظر بعد هذا فيما يصلح الجماعة ويسعدها في معايشها

صدق هؤلاء القائلون . فحرب العدوّ جهاد بيّن لا تقعد عنه

الأنفس العزيزة ولا تختلف فيه الكلمة ؛ تدعو إليه العزة والكبرياء ، والذود عن الأنفس والحرمات ، ويصمد فيه المجاهد إلى عدو مرئيّ فى معترك محدود . ولكن جهاد النفس ، وإصلاح الجماعة وإسعادها ، خفيّ المسالك غامض الجوانب ، تعترك به فى النفس الواحدة منازع مختلفة ، وتفترق بالجماعة أهواء متشاكسة ، ويطول فيه المدى ، وتمتحن العقول والعزائم

فان تكن الأمة المصرية قد مشت فى عزتها إلى غايتها أو أشرفت على الغاية ، إن تكن قد باءت بالإباء والكبرياء والدأب والصبر ما أمّلت أو بعض ما أمّلت ، إن تكن فرغت من الثورة والعداء إلى السلم والمودة ، فإنما قفلت من جهادها الأصغر إلى جهادها الأكبر — الجهاد الذى ينظر فى أحوال الأمة ما بطن منها وماظهر ، ليربّيها على الخير والحق ، وينشئها على الخلق القويم ، ويردّها جماعة صالحة متآخية ، تجمعها المودّة ويعدل بينها الانصاف ، تلتقى الخير والشر بقلوب موحدة وعزائم مجتمعة وآراء متناصرة — الجهاد الذى يعنى بالجهلاء فيعلمهم ، وبالمرضى فيأسوهم ، وبالبائسين من الزراع والصناع فيأخذ بأيديهم إلى العيشة الراضية ، ويقارب بين طبقات الأمة حتى يجمع شملها الخيرُ العام والمصلحة الشاملة — الجهاد الذى يهيئ للأمة وُلاة ينشرون السلام والأمان ، ويقومون بين الناس بالقسط فى كل كبيرة وصغيرة ، حتى تتمّ النَصَفةُ القويّ والضعيف ، والنصير والمخالف ، والمحبّ والمبغض ؛ وتقوم للأمة حكومة يحمل كل واحد فيها قانوناً فى الخلق ، يكفل ألا يحيد قيد شعرة عن القانون الذى فى الورق ؛ ويتنزّل فيها المثل الصالح من الرؤساء إلى من دونهم حتى يشعر كل عامل أنه يتلقى العدل من فوقه يوحيه إلى من دونه ، وأنه حين يعدل لا يتبرع ولا يمن على أحد ، وإنما هو الحق والواجب لا محيد عنهما ولا مفر منهما ، ولا يسع الأمر غيرها ؛ وحتى لا يُقضى فى أمر إلا بما يقضى به عمر بن الخطاب لو عرض هذا الأمر عليه ، لا محاباة ولا حيف ولا هوادة ؛ القويّ ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف قوى حتى يؤخذ الحق له ؛ وحتى يكون العامل الصغير فى أقصى الأرض نائلا حقه آمناً عليه ، كالحاكم الكبير فى دواوين القاهرة ؛ وحتى ييأس أكبر الموظفين وأقرب المقرّبين من المحاباة يأس أصغرهم وأبعدهم . لكلّ حقه ، وعلى كل واجبه ، وفوق الناس جميعاً قانون الأمة وعدل الله — الجهاد الأكبر الذى يذهب بهذه المساوئ البادية فى أنفسنا وأجسامنا وأزيائنا وطرقنا وأنديتنا ودواويننا ودورنا ، والذى يأخذ الأمة بيد رحيمة حازمة لتوفى بها على النجاة غير مبالية بصيحات المرضى الذين يكرهون الدواء ، والمفسدين الذين ينفرون من الإصلاح الخ الخ

لست أقول إن أمتنا ابتليت بالشر والفساد من بين الأمم ، ولكننى أريد لها أن تكون « خير أمة أخرجت للناس » وأن تصير مضرب المثل بين الأمم فى أخلاق أفرادها ، ونُظُم جماعاتها ، وسعادة أولادها

سيقول الضعفاء : هذا مطلب عسير ! وأنا أقول إنما تطمح عزائمنا إلى المطالب العسيرة ، وإنما يكافئ هممنا المقاصد البعيدة . وسيقول الذين فى قلوبهم زيغ : هذا هذيان ! وينسون أن هذا الهذيان تنطق به القوانين كلها . فان لم يكن عملنا مصدقاً قوانيننا فما جدوى هذه القوانين ؟. ليس فى الأمر عسر ، وليس فى الأمر هذيان ، ولكنه حق يسير إذا برئت النفوس من يأسها ، وخرست الألسن عن هذيانها ؛ وحسبنا أن يقوم على رأس الأمة « عُمر » واحد يضرب المثل ولا يتهاون فى إنفاذه فاذا الناس كلهم رغبةً ورهبة يقتدون به ، ويحاول كل منهم أن يجعل نفسه عُمَر آخر . إن نفوس هذه الأمة معمورة بالخير ، وإنما أضرّ بنا أن رفعت فى كنف العدو رايات للشر انحاز إليها كل شرير ، وأشفق منها كل خيّر ، فازداد المسيئون إساءة ، وضعفت نوازع الإحسان فى نفوس المحسنين . فاليوم نريد أن تُرفع فى هذا البلد للخير رايات ، ويُهاب بما فى الأمة من أخلاق ليزداد المحسن إحساناً ، ويكف المسيءُ عن إساءته ، فاذا الناس أعوان على الخير أنصار له ، فرحون به مغتبطون سعداء

ذلكم الجهاد الأكبر تضطلع به هذه الأمة الكريمة ، وتقودها إليه حكومتها الرشيدة مؤيدة موفقة مسددة إن شاء الله

عبد الوهاب عزام

القطـــط

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

القط حيوان مغرور ؛ وله العذر يا أخي والله . . ولو أن أمة من الأمم بدا لها في عصر من العصور أن تعبد أجدادي أو أن تعتقد أن روح الله حالة في أجسادهم لكنت حقيقاً أن أزهى وأتكبر وأتنطرس وأرفع رأسي حين أكلم الناس ، وأزم بأنفي وأتبجح عليهم بما ليس عندي ، وأتمدح بما ليس في ، وأكون على العموم – وباختصار – نفاجاً فياشاً إذا كنت تفهم ما أعني

ولست أتخذ القطط ولا أحبها أو أطيقها ، لأن آبائي لم يكونوا ممن عبدوها أو آمنوا بحلول روح الله فيها وإن كانوا قد عبدوا في جاهليتهم ما هو أحط منها في مراتب الحياة – الأصـــنام والحجارة – ولكنك تكفر بالحجر فتكسره وتفرغ من أمره . أما القطط فتنئ في أمرها إلى الرشد ولكنها هي لا ترشد أبدا ولا يفارقها الغرور العظيم الذي داخلها مذ رأت نفسها معززة مكرمة – بل معبودة – بلا موجب ، فالبلاء لهذا مقيم والمصيبة خالدة والعياذ بالله

ومن غرور القط أنه لا يستأنس أبدا – يسكن بيتك ويأكل طعامك برضاك أو على الرغم منك ، ومع ذلك لا يكون معك إلا على حرف ... تمسح له شعره فيثني أرجله تحته ويرخي جفنيه ويروح يزوم أو « يقرأ » كما يقول العوام فكأنك تستلم حجراً مقدساً من فرط ما يكون من انصراف هذا الحيوان المتكبر عنك ، وتدغدغه فلا يمنى بأن ينظر إليك ليرى من أنت – أغريب أم صاحبه الذي يطعمه ويؤويه – بل ينحى عليك بأظافر يده وبفمه في آن معا . وتقدم له اللقمة من الخبز فينظر إليها شزراً ويعرض عنها محتقراً لها ويحول رأسه عنك بكبر دونه كل كبر وترفع لا يطاق حتى لكأنك تلغو في حضرة البابا .. فإذا كان ما تعرضه عليه لحماً أو سمكا أهوى عليه بأسنانه وهو معبس متجهم وانتزعه منك كأنما أنت تدنسه بلمسه أو حمله . ولا يكون معك أبداً إلا متحرزاً متوثباً متوقعاً منك الغدر ومتهيئاً لمباغتتك بالخيانة ، وليس أطفى منه ولا أغلظ كبدا . وما أظن بالقارئ إلا أنه رأى ما يصنع القط بالفار وكيف يمسكه بين يديه حتى يكاد يميته من الفزع ثم يطلقه ويقصر عنه فيقف الفار المسكين جامداً لا يتحرك ولا يكاد يصدق أنه حر وأن في وسعه أن يذهب ويجري . والقط ساكت لا يمد إليه يدا ولا يبرز مخلباً فيطمئن الفار ويشرع في الهرب وهو يتلفت حتى إذا وثق أنه آمن وثب عليه القط وهو يضحك في سره وغرس في جنبيه مخالبه وراح يشكه بها شكا يكون خفيفاً تارة وثقيلاً أخرى ثم يكف عنه مرة أخرى – وعينه عليه – ويكتفي بأن يربض ويتربص له وأن يلاحظه وهو يتلوى من الألم . ويدرك الفار أن الشك قد انقطع وإن كان حر ما لقي منه لا يزال شديداً فيتشهد ويقول « ياحفيظ .. أعوذ بالله ... على وجه من أصبحت في يومي المنحوس هذا ياترى ... على كل حال الحمد لله .. قدر ولطف .. وترى أين ذهب هذا الوحش الضاري .. ياحفيظ .. ياحفيظ .. اللهم استرنا ... اللهم الآن أن أذهب إلى جحري فانه على ضيقه خير ألف مرة من ميدان هذه الغرفة التي لا آمن أن يثب علي فيها قط آخر .. والعياذ بالله » ويتوكل المسكين على الله ويقول « هيه .. يامعين » ويروح يجر رجلاً بعد رجل ؛ وذيله مسحوب وراءه على الأرض ؛ ولا تبقى له قدرة على التلفت من فرط الأعياء ومن كثرة ما نزف منه من الدم القاني فيمضي إلى الجحر وهو لا ينظر لا إلى اليمين ولا إلى الشمال ولا قدامه ولا خلفه ؛ حتى إذا قارب الجحر وانتعشت نفسه قليلاً وعظم أمله في النجاة والسلامة وطول العمر وهم بوثبة أخيرة إلى حيث لا تدركه القطط ولا تستطيع أن تتبعه ، إذا بالقط المتربص على ظهره ، ومخالبه في لحمه الطري ، فيدرك الفار اليأس ويستسلم ويقول في سره وهو يؤكل عسى الله أن يعوضني يوم النشور داراً أخرى لا قطط فيها .. ويلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يحلم بجنة الفيران

والقطط تولد عمياء مطبقة الأجفان فيدركنا العطف عليها وترق قلوبنا لها فنعنى بها ونتعهدها ونسقيها اللبن الذي هو لطعامنا ، ونبرها ونسرها سـنة بعد سنة ، ونفرح بها ونعجب بمنظرها ونباهي الجيران ، ثم يتفق أن نخرج يوماً وأن نوصد الأبواب ونحن لا ندري أن القط في إحدى الغرف ونغيب شيئاً ثم نعود إلى البيت ويدخل أحدنا حجرة النوم ليخلع ثيابه فيغلق الباب وراءه كعادته وإذا بالقط على السرير يتحفز للوثوب عليه وتمزيق لحمه – ما في ذلك شك – فكأنه ليس أمام قط صغير وإنما هو

أمام نمر مفترس فيضطرب الرجل وتتخاذل ركبتاه ولا يعود يعرف أين الباب ، والقط يموء بل يعوى ويتوثب كالمجنون وقد نسى كل ما كان من سابق النعمة ولم يبق له هم إلا الخروج من الغرفة أو افتراس هذا الذى دخلها عليه وإن كان سيده وصاحب الفضل عليه

وقد لقيت من قطط الجيران الأمرين فما أحب القطط كما أسلفت . وما أكثر ما يحدث أن أنسى نافذة مفتوحة أو باباً مواربا فيدخل القط ويمضى إلى أوانى الطعام ويكشف عنها الغطاء — أى والله ولو كانت من النحاس الثقيل — ويلتهم كل ما بقى .... وقد كان لى جيران ما رأيتهم قط ينامون إلا بعد أن يغلقوا الأبواب والنوافذ جميعاً . وكنت أضحك إذ أسمع رب بيتهم يصيح فى الليل — والصوت فى الليل يسرى — « يا حنيفة .. هل أغلقت باب المطبخ ؟ » فتصيح حنيفة من مرقدها والنوم يغالبها : « أيوه ياسيدى ... » فلا يقتنع ويخشى أن يكون الكسل قد أغراها بالكذب فيقول « يحسن أن تقومى وتستوثقى » وبعد قليل أسمعه يؤنبها ويقول لها « ألم أقل لك .. هذه النافذة لم تكن محكمة الأيصاد ... وهذا الباب ... انظرى ... لو دفعه إنسان بيده لا نفتح » فتحلف أنها أوصدت كل الأبواب والنوافذ فيقول « لا يا بنتى . . . دورى قبل النوم على كل الأبواب وكل نافذة وامتحنى كل منفذ بيدك لتتحقق » وكنت أعجب لهذا التفزع وأسأل نفسى عما يخيفه وهو فى عمارة لها بواب لا ينام إلا بعد أن يدخل كل السكان ثم يغلق بابها بالمفتاح ويضمه — أعنى المفتاح لا الباب — فى جيبه . فاذا تأخر أحد السكان احتاج أن يدق ويقرع الباب .. ثم زال عجبى لما بلوت قطط الجيران .. وأيقنت أنه لا يخاف اللصوص وإنما يخاف القطط .. وله العذر

والعامة تعتقد أن للقط سبع أرواح وما أظنهم إلا صدقوا ، ومن كان يشك فى ذلك فليتأمل كيف يسقط القط من فوق السطح العالى فلا يزيد على أن ينظر يمنة ويسرة — فان فى القطط تحرزاً شديداً — ثم ينهض ويمضى كأنما كان قد انحدر على بساط كهربائى . وتضربه بالحجر فلا يهيضه بل يرتد عنه . وهو مثال الفردية الصارخة والأثرة المجسدة . وما رأيت قطتين اتفقتا قط ، وما اجتمع قطان فى مكان إلا تحفزاً للقتال فترى كلا منهما قد رفع ذيله وقوس ظهره وراح يجس الآخر بعينه وهو يزوم ويقول : « واووووووو » ويدور حوله ليغافله وينشب فيه أظفاره . والقطة هى الدابة الوحيدة التى تأكل صغارها فتأمل ذلك . ومن كان يعرف أن حيواناً مستأنساً آخر يفعل ذلك فليخبرنى فان العلم بهذا ينقصنى

ومن غرور القط أنه يعتقد أن ريقه ترياق ، فتراه يضطجع على جنبه ويلوى عنقه ويقبل على شعره بلسانه يلحسه ولا يخجل أن يستحم على هذا النحو أمام الناس ، بل لعله يباهى بذلك ويفخر قبحه الله ؛ وهو مفطور على الغدر والخيانة فلا أمان له ولا اطمئنان منه لأحد من الخلق ولا لشىء من الأشياء فهو لهذا سيىء الظن ، حتى إنك لتراه إذا صار على رف أو لوح من الخشب يخطو كأنما هو يمشى على الجمر فيضع كفاً وينتظر ويخيل إليك من وقفته أنه يختبر المواطىء بكفه ويقدر مبلغ ثباتها وقدرتها على احتمال ثقله . ثم يمد يده الأخرى وينتظر شيئاً زيادة فى الاستيثاق ومبالغة فى الحذر ولا يجد ما يبعثه على الشك ، ومع ذلك يظل يتريث حتى تزهق روحى وأنا أنظر اليه . وإذا رابه شىء رد يده وسحبها من موضعها بسرعة وخفة ؛ ولو كان الانجليز قد خلقوا قبل القطط وسبقوها إلى الدنيا والحياة لقلت إن القطط أخذت ذلك منهم وقلدتهم فيه فانهم مثلها يقدمون على الشىء متحرزين ، ويخطون خطوة ثم يقفون ينظرون ما يكون ، فاذا جرت الأمور على غير مايحبون أو يتوقعون ارتدوا بخفة وبسرعة وإلا نقلوا رجلاً أخرى وهكذا ، فيظهر أنهم هم الذين يتقيلون القطط ويحاكونهم فى هذا والله أعلم

ولم يسرنى قط وجود قطة فى بيتى إلا مرة واحدة ، وكان قطا ملعونا لا نزال كلما أوينا إلى مضاجعنا يتسلل — لا أدرى من أين — إلى المطبخ ويرفع كل غطاء عن كل وعاء ويقلب كل صحن ويروح يعبث بما فى السكان . وليست نقمتى عليه من أجل ما يسرق فقلما يجد شيئاً فى المطبخ لأن عادتنا أن نأكل كل شىء ولا نبقى شيئاً قبل أن ننام ، فلا تبيت الأوعية والصحون إلا فارغة نظيفة ، والحمد لله الذى لا يحمد على المكروه سواه . وإنما نقمتى عليه من أجل الضجة المزعجة التى يحدثها والصحون والأطباق التى يكسرها فنهب مذعورين من فرط الضوضاء ونذهب نعدو إلى المطبخ عسى أن ندرك شيئاً قبل أن يتحطم ، وإذا بالقط اللعين يثب من الرف حين يرانا إلى النافذة دفعة واحدة . وأقسم أن

كنت اغلقت النافذة واستوثقت منها قبل أن أنام كما رأيت جارى يفعل ولكن من يصدق .. وتروح زوجتى تكذبنى وتزعم أنى لا شك أهملت كعادتى أو أنى اكتفيت بأن ألمس النافذة بيدى وباركتها ثم قفلت راجعاً وأنا واثق أنها ستغلق نفسها بقدرة الله ومن غير حاجة إلى معونتى . ونظل فى هذا الخلاف السخيف الذى سببه لنا القط إلى الصباح . واتفق يوماً أن دخل علينا قط ضخم بلا استئذان فهممت بطرده إذ حسبنا ما يصيبنا من القطط بالليل ، ولكنى لمحت قطاً آخر واقفاً بالباب يشاور نفسه ، ولم أكد أراه حتى كانت المعركة ناشبة بين القطين ، وكانا يدوران وذيلاهما مرفوعان وكل منهما يتحين الفرصة للوقوع فى خصمه ، وكانت أصواتهما المنكرة كأنها المسامير فى آذاننا ولكنها كانت لهما كموسيقى الحرب على مايظهر ، ثم اشتبكا بعد أن وزن كل منهما صاحبه وأخذت المخالب تطول وتنغرز فى أجسامهما والأسنان تساعدها ، وكانا يتقلبان على الأرض — أعنى على البساط — وهما يتصايحان بصيحات الحرب وأنا واقف من فرط السرور أشجعهما وأستحثهما وأقول للذى أراه يفتر منهما : « عليك به ! اغرز مخلبك فى عينه . . افقأها له ليعمى ولا يعود يرى النافذة . . برافو . . برافو . . أحسنت ! هكذا تكون البطولة وإلا فلا . . أيوه . . أعد .. أعد .. بارك الله فيك .. مزق جلده .. أسلخه .. تمام .. مضبوط .. عضه .. عضه ياأبله .. لا لالا .. لاتبعد .. عد اليه .. تذكر الدجاجة التى خطفها وحرمنى وحرمك لذتها ... تذكر — إذا كنت لا تعبأ بالدجاج — الفيران الطرية السمينة التى يصيدها كل ليلة ويأكل لحمها الغريض ويشرب دمها القانى ... أقدم يا شيخ ... أقدم ... أو لم تسمع بقول الشاعر الحكيم : « وفاز بالطيبات الفاتك اللهج » ... » وهكذا صرت أهيجهما حتى أوسع كل منهما صاحبه عضاً ونهشاً ولاذ أحدهما بالفرار ... ووقف الآخر برهة يلحس جراحه ، ولكن الغريب أنى لم أر دما يسيل أو يقطر ، ولم تأخذ عينى تمزيقاً فى جلد أحد القطين على الرغم من عنف القتال ... فهل كان مزاحا ... أم ريقه ترياق كما يدعى ؟ ومهما يكن من ذلك فقد استرحت من القطط المتلصصة بعد هذه المعركة ولله الحمد ... وبقيت الفيران قوانا الله عليها إنه سميع مجيب

ابراهيم عبد القادر المازنى

صور سياحة

ليلة فى براتر

بقلم « سائح متجول »

للمدن العظيمة كما للأفراد روح وخواص معنوية تحدث أثرها فى النفس ؛ وللمدن العظيمة أيضاً ذكريات وتقاليد تنم عن هذه الروح والخواص ومن خواص مدينة ڤينا أنها تتمتع بجاذبية مدهشة تنبعث من جميع مظاهرها وحياتها العامة ؛ وللعاصمة النمسوية ماض باهر حافل بالذكريات العظيمة ، واذا كانت صروف الحرب والسياسة قد أسبلت على هذا الماضى الباهر سحابة من النسيان فان المدينة التالدة ما زالت تحتفظ بهذا الروح المرح الجذاب الذى عرفته أيام المجد ، فى ظل امبراطورية عظيمة ، وفى ظل دولة الفن والموسيقى الزاهرة أيام أن كان يطربها ويشجيها ويبكيها آناً بعد آخر آلهة الفن الرائع : موتسارت وشوبرت ويوهان شتراوس

وما زالت ڤينا برغم جميع الأحداث والمحن تفيض بالذكريات الحافلة ، وما زال الروح النمسوى يرفرف نحو الماضى ويستوحيه ويستمد من تراثه كثيراً من آيات الظرف والأناقة والسحر ؛ والخلق النمسوى يجنح بطبعه الى الأدب الجم والرقة المتناهية ؛ وإنك لن تشعر فى أية عاصمة أوربية أخرى بما تشعر به فى العاصمة النمسوية من آيات الترحيب وحسن الوفادة ورقة الشمائل والخلال

ومن ربوع ڤينا وذكرياتها المعززة حى « براتر » brater ؛ ومن ذا الذى لم يسمع باسم براتر من زوار العاصمة النمسوية ، بل من ذا الذى لم يجذبه ذلك الحى المرح الضاحك الذى كان أيام الامبراطورية مرتع الأمراء والنبلاء ، والذى ما زال مرتع الشباب والحداثة من كل الطبقات ؟ إن حى براتر يمثل ناحية خاصة من حياة العاصمة النمسوية ؛ ومع أنه حدث فى روحه ومظاهره ، فانه مازال من أشد الربوع والمعاهد إعراباً عن روح ڤينا الحقيقية . وإن أولئك الذين يعرفون كم تعبر أحياء مونمارتر وميجال ومونبارناس عن الحياة البارزية الشعبية يستطيعون أن يفهموا

كم يعبر حى براتر عن ذلك الجانب من حياة العاصمة النمسوية

وليس حى براتر فى الواقع أكثر من مجموعة كبيرة من الألعاب والملاهى الغريبة ؛ ولقد عرفت القاهرة فى بعض المناسبات شيئاً من هذه الملاهى باسم « لونابرك » ، وكان آخرها ما نظم فى الشتاء الماضى أيام المعرض الزراعى ؛ ولكن ما نشهده نحن فى القاهرة من هذه الألعاب والملاهى ليس إلا جزءاً يسيراً مما يضمه حى براتر من الأندية والمسارح المختلفة التى تعرض فيها أحدث وأغرب الألعاب والمناظر البهلوانية المدهشة التى يطبعها جميعاً طابع المرح والحداثة والدعابة

وفى براتر يجتمع أخلاط المجتمع من جميع الطبقات ؛ ذلك أنه يضم فضلاً عن الملاهى والألعاب الكثيرة ، طائفة من المقاهى والمطاعم الأنيقة التى يرتادها زوار الطبقات الرفيعة ، ويقصدها المحبون ليعتكفوا فى أركانها ومخادعها ، ولينهلوا كئوس الحب بعيداً عن صخب الأندية الحافلة ؛ وقد كانت براتر وما تزال مهبط الحب . ولكم كانت فى الماضى مسرحا للحوادث الغرامية الأنيقة بين أبناء الطبقات الرفيعة ؛ بل إن اسم براتر ليمثل فى مأساة غرامية من أشهر وأروع ما عرف تاريخ الحب : ففى دروب براتر التقى الأرشيدوق رودلف ومارى فتشرا فى أواخر القرن الماضى ؛ وكان الأرشيدوق رودلف ولد الامبرطور فرنز يوسف وولى عهده يومئذ ؛ وكان فتى مضطرم الأهواء يثور على الرسوم والتقاليد الملوكية ، ويشغف بالتجوال فى أحياء ڤينا والاغتراف من مسراتها الشعبية ، وكان كثيراً ما يرتاد معاهد براتر ويمرح فيها . وكانت مارى ڤتشرا فتاة رائعة الحسن من أسرة نبيلة ، فلمحها الأرشيدوق ذات يوم فى براتر وهام بها حباً ، وهنالك تفتحت فى قلبيهما زهرة الحب . وكان العاشقان يتنزهان أحياناً فى طريق براتر السلطانية المعروفة « بالدرب الكبير » Hsnbt Allee ، وأحياناً يلتقيان فى مقهى هنالك يعرف « بدار الأنس » Lnst Hals ، وهو ما يزال قائماً فى براتر إلى يومنا . ونحن نعرف كيف كانت خاتمة العاشقين المؤسية فى قصر ماير لنج فى ضواحى ڤينا ، حيث وجد الأمير ومارى ڤتشرا فى صباح ذات يوم من سنة ١٨٨٩ قتيلين برصاص المسدس ولم تعرف أسباب المأساة وظروفها قط ، وكل ما قيل يومئذ إن الأمير فى نزعة من نزغاته قتل حبيبته ثم انتحر ؛ وذاعت بعد ذلك روايات أخرى ، بيد أن سر المأساة لم يعرف قط

وفى هذه الحادثة التاريخية التى اقترنت باسم براتر ما يفسر منزلة براتر ومعاهده فى قلوب المجتمع النمسوى ؛ وما زالت ذكريات هذه المأساة الغرامية تغشى أفق براتو ، وما زالت ذكريات شهيرة أخرى تمتزج بمعاهد براتر وأنديته ومغانيه ؛ وقد كانت هذه الحوادث والذكريات ، وما زالت مستقى لأقلام كثيرة ، ومبعثاً لطائفة من القصص الشائق الشجى

* * *

ومن الصعب أن نصف هنا كل ما ينتظم فى براتر من المناظر والألعاب المدهشة ؛ بيد أننا نعرض هنا بعض ما رأيناه وخبرناه منها ، وإن منها لما يترك فى النفس أثراً لا يمحى ؛ وإذا كان معظم الألعاب والنزه مما قد أعد للأحداث ، فان منها ما تقتضى ممارسته إقداماً وجلداً ، ولقد شهدنا ذات مساء لعبة أو نزهة مروعة خطرة معاً . وكنا أربعة من الأخوان ، فاقترح علينا صديقنا الدكتور (ق) أن نركب القطار الطائر Fluh Bahn ، وصديقنا الدكتور أعرف الناس بڤينا وبراتر ، وكان منظر هذه القطر الطائرة بريئاً متواضعاً ، فهى عبارة عن سيارات صغيرة أعدت لشخص واحد ، وركبت على خطوط مكهربة ، فركبنا جميعاً ، وكان كل ما نصح به « ق » أن نمسك أنفسنا جيداً ، وانطلقت القطر الطائرة بسرعة حتى جزنا نفقاً كبيراً مظلماً قد رتب على هيئة الجو والسماء ، ونظمت فى أفقه نجوم كهربائية ، وهنا أخذت القطر الطائرة تسير الهوينا منطفئة حتى لقد تصورنا وشعرنا حقاً أننا نركب طيارة تعالج الرياح فى الأفق ، ولكن حدثت بعد ذلك مفاجأة مروعة ؛ ذلك أن هذه الطيارات الخيالية اندفعت فجأة الى الضوء بسرعة هائلة لتمثل حالة سقوط الطائرة ، وأخذت ترتفع وتهبط فى منحدرات متعاقبة بعنف مروع مدى دقيقة أو اثنتين ، حتى لقد خيل إلينا غير مرة أن الطائرة ستقذف بنا من حالق ، وكانت دورة عنيفة خطرة اقتضت منا أعظم جهد وجلد ؛ ثم انطلقنا بعدها إلى الضوء ، وتمت التجربة الهائلة ، ونهضنا بأقدام وأعصاب متزلزلة ، وصديقنا الدكتور فى القاطرة الأخيرة يحدجنا بخبث ويبسم لما ارتسم على وجوهنا من بوادر الانزعاج والشحوب

وثمة مشهد آخر فى براتر يستحق الوصف هو « دار الأشباح »

gagst Haus ، وهو اسم يطابق المسمى ، وهى عبارة عن دار كبيرة تخترقها أروقة مظلمة ، ويجوبها المشاهد فى عربة صغيرة تنطلق به فى ظلام الأروقة ، ثم تعترضه خلال التجوال هيا كل عظيمة وأشباح مروعة ، وأحياناً تلطمه يد رقيقه خفية ، أو يرى فى الظلام شبحاً يخرج من قبره فجأة ثم يعود بسرعة ، أو يمر فوق هيكل عظمى فيرسل صيحة مزعجة ، وهكذا يرى عدة من صور الفناء والعالم الأخير خلال وميض النور فى الظلماء

وربما كانت أشهر نُزه براتر وملاهيها نزهة العجلة الكبرى Riesen Raq ، وعجلة براتر تشرف على فينا منذ نصف قرن أو أكثر ، وهى عبارة عن عجلة ضخمة يبلغ قطرها نحو سبعين متراً أو أكثر ، وقد ركبت حولها مخادع كبيرة يركبها الرواد ، ثم تدور بهم ببطء فترتفع بهم شيئاً فشيئاً ، حتى تبلغ المخادع الذروة واحداً بعد الآخر ، وعندئذ يشهد الراكب فينا بأنوارها الساطعة وأبراجها الشاهقه ، ثم تهبط العجلة بعد ذلك حتى يبلغ الراكب مكان النزول ، وتستغرق الدورة نحو ربع ساعة . ولهذه العجلة الكبيرة شهرة خاصة بين الشباب ، ولها فى الحب ذكريات أيضاً ، ذلك أن كثيراً من المحبين الذين تضيق بهم سبل اللقيا ، يلتمسون مخادع منفردة فى العجلة ، ثم يقضون هذه الدقائق القليلة فى بث لواعج الهوى ، وتبادل القبلات الحارة

وفى براتر يوجد معرض هو أغرب معرض من نوعه يسمى معرض المخلوقات العجيبة Wunder Menschen ، وفيه تعرض حقاً طائفة من أغرب المخلوقات البشرية مثل أضخم امرأة فى العالم يبلغ وزنها ثلثمائة كيلو ، وأطول وأضخم رجل فى العالم وهو عملاق يبلغ طوله نحو ثلاثة أمتار ، وأصغر مخلوقات بشرية ، ونحو ذلك من غرائب المخلوقات والطبيعة

وهنالك أيضاً فى دروب براتر نزه ومناظر وألعاب عديدة أخرى يضيق المقام عن وصفها ، وقد أعدت جميعاً للأحداث والشباب

ويهرع الشباب كل مساء إلى براتر ، يتفرقون فى دروبها وأنديتها وملاهيها ، وهى تغص بهم دائماً ، وهناك يقضون ساعات فى الحبور والمرح ، وينسون هموم الحياة الثقيلة ، وبؤس العيش والعطلة ، لقاء دريهمات قليلة

لقد كانت براتر وما تزال مرتعاً ومتنفساً للشباب ؛ وهنالك بين هذه الدروب المتشعبة والمسارح الساطعة الصافية يجب أن ينسى المرء نفسه برهة ، ويرجع إلى عهد الحداثة ، ليشهد ويمارس هذه الألعاب الصبيانية التى تنفث رغم طابعها الصبيانى كثيراً من روح المرح والدعابة ، وهذا ما يفعله أهل فينا جميعاً ، وهذا ما يفعله كل أولئك الذين يزورون العاصمة النمسوية ، ذلك أن سحر براتر لا يقف عند مسارحها ومناظرها وألعابها ، بل إن لبراتر سحراً معنويا عميقاً يرتبط بماضيها وذكرياتها ، وهذا السحر المعنوى يسبغ على اسم براتر نوعاً من الجلال لا تتمتع به عادة أمثال هذه الربوع المرحة الضاحكة ؛ وإنما تتمتع به براتر ، لأنها استطاعت خلال الأحداث والعواصف أن تحتفظ بماضيها وذكرياتها ، وأن تبقى كما كانت فى الماضى مرتع الأنس والمرح والهوى

وإذا كانت العاصمة النمسوية تفخر وتزهى بمتاحفها ومعاهدها الأثرية ، وقصورها ومتنزهاتها البديعة ، فانها تحل براتر دائماً بين ربوعها محلاً عزيزاً ؛ ذلك لأنها أيضاً أثر الماضى المجيد ، ولأنها رمز العهد الضاحك ؛ والمدن العظيمة ، كما للأشخاص ، شعور يتجه نحو الماضى ويخفق للذكرى

فلا تنس إن زرت العاصمة النمسوية يوما أن تزور براتر ، ولا تنس بالأخص أن تركب القطار الطائر رغم هوله وروعته ، وأن تصعد فى العجلة الكبيرة التى تجثم دائما فى قلب براتر زاهية بأنوارها الحمراء والخضراء ، ولا تنس أن تزور دار الأشباح ومنزل الأنس ، وكل هذه المعاهد والمغانى

(***)

مهداة الى الاستاذ دريني خشبة

من ذكريات زواجي

لأستاذ كبير

فوجئ قراء الرسالة منذ أيام بخبر زواج الأديب الكبير الأستاذ (د) . عند ما طلع عليهم بأطروحته التي جعل عنوانها « بلبلتي » . فوجب على المعجبين بأدبه أن يتقدموا اليه بهدايا العرس ، وكاتب هذه الكلمة واحد من هؤلاء المعجبين شعر بهذا الواجب فنهض لتنفيذه على الطريقة التي تتفق مع جهده . فهو يتقدم — على استحياء — بهذه الكلمات . وليسعد النطق إن لم تسعد الحال . . .

***

أذكر أني بعد أن خطبت زوجتي جلست إلى نفسي وقلت :

« اسمع يا فتى . . . ما أكثر أن تسمع الأزواج يشكون من زوجاتهم ، وما أقل أن تجد من هو راض عن حالة زواجه ! فهذا يشكو شدة غيرة زوجته عليه حتى إنها لتفتش جيوبه سراً كلما عاد من محل عمله لعلها تجد فيها رسالة تكشف عن سر مستور ، أو ورقة تنم عن علاقة غير مشكورة . . .

وهذا يشكو شدة رقابة زوجته عليه حتى أنه لا يكاد يصل إلى مكتبه في محل عمله ساعة الصباح ، وتعلم زوجته أن قد انقضت الدقائق العشر التي بين البيت والمكتب حتى تنهض إلى « تلفونها » تطلبه لتتمم عليه خشية أن يكون قد انصرف مبكراً إلى غير عمله . . .

وذلك يشكو من استعداد زوجته المدهش في إثارة الشكوك حول كل ما يعمل حتى ما ينقطع بينهما الجدال والشجار بسبب « سوء التفاهم » الذي تثيره دواما بارتيابها وعدم وثوقها فيه ...

وذلك يشكو من أنه لا يكاد يقضي ساعة أو بعض ساعة مع إخوانه في جلسة مسائية هنيئة ثم يعود إلى بيته من بعدها راضياً منشرح الصدر حتى يلقى من عنت زوجته وعتابها له على أنه تأخر في هذا المساء عن موعده المعتاد ما يطارد من رأسه كل أثر من نشوة السرور التي أفادها في تلك الجلسة فما تلبث أن تنقلب نشوته إلى ثورة ، وانشراحه إلى انقباض . ويبيت مهموماً كئيباً بعد أن كان يمني النفس بليلة سعيدة كلها بشر واغتباط »

***

استعرضت تلك الصور جميعها أمام عيني وعدت أقول لنفسي :

« هذه يا فتى حال إخوانك ممن سبقوك إلى ما أنت مقبل عليه من هذا الزواج ! فماذا أنت صانع ؟ وفتاتك ليست إلا واحدة من نساء الله اللائي طبعن على غرار واحد ، وصببن في قوالب متشابهة ! ؟ فأنت وفتاتك بين أن تندمجا في زمرة أولئك التعساء الساخطين الشاكين إذا أنت سرت معها على نهج بقية الأزواج ، وبين أن تعيشا عيش السعادة والهناء إذا أنت أغضيت عما هو عيب « جنسها » في الواقع قبل أن يكون عيب شخصها »

وعاهدت نفسي في ذلك اليوم على ألا تثيرني من زوجتي نزعة من تلك النزعات التي رأيتها تعمل على تعكير صفو الأزواج من إخواني ومعارفي ، وقضيت قضاء سابقاً لأوانه بأنها حماقة ما بعدها حماقة أن يغضب الانسان من أمر هو يعرف أنه لاشك حاصل ثم هو يتوقع حدوثه قبل أن يحدث !

***

وتزوجت . . . . . .

***

ورأيت أن نقضي شهرنا الأول في رمل الأسكندرية ، فسافرنا على أجنحة الطائر الميمون الذي يقول الشعراء إن السعداء من الناس يسافرون عليه ، وكنت في زياراتي السابقة القصيرة لثغر الأسكندرية قد عرفت أن بجهة الشاطبي توجد سلسلة من الحدائق البديعة التي تليق بعروسين أن يقضيا بين خمائلها بعض سويعاتهما الوردية اللون ، ولكني لم أكن أعلم أين تقع بالضبط تلك الحدائق من محطة الشاطبي ، ولم أشأ أن أتأبط ذراع فتاتي وأذهب أتخبط بها وأتسكع حتى أهتدي إلى موقع تلك الحدائق .

وكان من عادتي أن أصحبها كل مساء لقضاء الوقت في مغنى من مغاني الثغر وملاهيه ، ورأيت في ذلك المساء أن أفاجئها بارتياد تلك الحدائق دون أن أخبرها بوجهتي حين أخرج بها في نزهة المساء لكي تكون الزيارة أمتع لها وأوقع في نفسها .

فانتهزت فرصة القيلولة وأنها غلبها النعاس وتسللت أنا من الفراش فوضعت ملابسى فى عجلة وتلصص وخرجت من المنزل فى هدوء وحذر أطير إلى جهة الشاطئ لأرى كيف يكون وصولنا إلى تلك الحدائق ، وأى مواقف الترام أقرب إليها ، وأى مداخلها أمتع منظراً ، وأى طرقاتها أشهى مسلكا ، وأى أركانها أهنأ جلسة وأنعم مقاماً

ووفقنى الله فى مهمتى فلم أغب عن منزلى أكثر من ساعة عدت بعدها وأنا أكاد أطير بجناحين لألقى عروسى فأحتملها إلى هذه المفاجأة السارة التى خبأتها لها . . . . . .

* * *

ودخلت الغرفة عليها ، فوجدت وجها مربداً ، ونظرات شزراء ، وعينين حمراوين فيهما أثر الدموع ووقدة الشر . وأشهد لقد كانت مفاجآتها التى أعدتها هى لى أقوى ألف مرة من تلك المفاجأة الفاترة التى كنت جهدت فى أن أعدها لها . . . . . .

— كفى الله الشر ! مالك ؟

— ! ؟

— خير إن شاء الله ؟

— ! ؟

— هل حضر أحد بعد خروجى أو حدث حادث ؟

— ! ؟

— تكلمى يا « ستى ! »

— ! ؟

وأخيراً وبعد مناورات أعفى القارئ من سردها تبينت جلية الأمر فاذا هى غضبى لأنى خرجت : أولاً — بغير علمها . . . . وثانياً — إلى مكان لا تعرفه هى . . . . وثالثاً — لأن هذا الخروج حدث فى وقت لم يخلقه الله لخروج الرجل البرئ . . . ورابعاً — لأنى تغفلتها وهى نائمة وأتيت كل هذه الآثام ؟ كل ذلك ولما ينقض على زواجنا أسبوع ! أفلم يكن من الأليق تصفية هذه (الرنديفوهات) قبل الزواج ؟ أم هى مقابلة عارضة حصلت فى الصباح فتم ترتيب الموعد ليكون فى هذا الوقت من المساء ؟ وهل يليق . . . ؟ وهل يجوز . . . ؟ وهل يصح . . . ؟ وما إلى ذلك من طوفان الأسئلة التى ليس أسهل من توجيهها بصرامة مدهشة عند النساء وليس أسهل من الغرق فيها باستسلام غريب عند الرجال !

* * *

يا سبحان الله ! أبهذه البساطة تنعكس الآمال ؟ وهل يمكن أن يغمر الانسان كل هذا الخير فلا ياتى إلا كل هذا الشر ؟ ! وماذا يكون من أمر زوجتى إذا أنا هفوت حقيقة كما قد يهفو الانسان ما دام أنه ليس بمبرأ ولا معصوم ! ؟ وما فضل الحب إذا لم تكن دولة الحلم فيه غالبة على دولة الجهل ، وساحة الغفران فيه أرحب من ساحة القصاص ! ؟

* * *

منذ ذلك اليوم بدأت أشعر بصعوبة قيامى بتعهداتى التى كنت عاهدت نفسى عليها من الاحتفاظ بهدوء الجو فى بيتى وبصفاء العلاقات التى تقوم فيه . وأدركت أن الزوج مهما سعى لرفع مستوى حياته الزوجية إلى درجة مناسبة من السعادة فانه لن يوفق إلى شىء من ذلك ما دام مبدأ الزوجة هو أن تتهم زوجها قبل أن تستمع إليه ، وتحكم عليه قبل أن تحاكمه ! وعرفت أن الزواج الموفق هو الذى يجمع بين « صديقين » يتحابان فى الله ويدخل كلاهما هذه الشركة العاطفية بذخيرة صالحة من التسامح وبعقيدة ثابتة فى أن الهفوة الزوجية ينميها العقاب ويؤكدها الانتقام — وتقتلها المغفرة ويمحو أثرها الصفح الجميل ، وأن « المثل الأعلى » سواء للزوج أو للزوجة لم يتم خلقه بعد فلا ينبغى لأحد الزوجين أن يطالب زوجه بأن يكونه !

« زوج سعيد »

القول المكشوف

فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

لعل الأدب الانجليزى أشد الآداب تحفظاً فى المقال والتزاماً للوقار وعزوفاً عن المجون ، فبينه وبين الأدبين الفرنسى والروسى ، مثلاً ، بون كبير فى هذا المجال . وبعكس ذلك كان الأدب العربى الذى وسع من صريح العبارة عن ماجن القول وسفسافه ما لا يسيغه العصر الحالى ؛ بل لم يكن يسيغه فضلاء العصر الذى قيل فيه ، وذلك راجع للظروف المحيطة بالأدبين

فسيماء الوقار والتسامى التى تعلو الأدب الانجليزى راجعة إلى ثلاثة عوامل رئيسية متشابكة هى : طبيعة الانجليزى الهادئة ، والتربية الانجليزية التى تجعل غرضها الأول كبح نزعات الناشئ الجامحة وإلزامه ضغط النفس ، وثالث العوامل هو الرأى العام القوى

والرأى العام نتيجة للعاملين الأولين ، ونتيجة أيضاً للنظام السياسى الديمقراطى الذى يجعل الأمر للشعب فى كل مناحى الحياة ، وهذا الرأى العام محافظ حريص على تقاليد الفضيلة يشهر الحرب على من يهم بخدشها ، وهو من القوة بحيث لا يجسر كاتب أو شاعر أو ناشر على تحديه وإلا كان عليه الغرم المادى والأدبى ، وقد ثار بالمستهترين المتجاسرين على الدين والتقاليد أمثال بيرون وشلى فاضطرهم إلى مغادرة البلاد ولم يشفع لهم عنده نبوغهم ولا ما نالوه فى غير انجلترا من الصيت البعيد .

أما الأدب العربى فخالطته عوامل اجتماعية وسياسية جعلت اجتثاث جرىء القول وبذيئه منه متعذراً : فهو قد ورث جفوة بداوته الأولى ، وسرى إليه الفساد الذى تبع الفتوح واختلاط الأعاجم والموالى ، وشجعت الحكومة الفردية المطلقة سريان هُجر القول بدل أن تدرأه ، فكان من الخلفاء والأمراء من حرضوا على المهاجاة بين الشعراء ، وأغضوا عن مجونهم ما داموا مشغولين به عن مناوأة سلطانهم ، وأجازوا من وقعوا فى خصومهم بقبيح الهجاء

فالحكومة الفردية المستبدة قد حالت دون قيام رأى عام يقف للخارجين على تقاليده بالمرصاد ، أو هى لم تدعْ لذلك الرأى العام السلطة أو الهيبة الكافية لأن ينضح عن تقاليده ، بل كثيراً ما حَمَتْ الشعراء الماجنين منْ غضبه . وهكذا الحكومة القائمة على أساس فاسد لا يسعها — لشعورها بضعف مركزها — إلا مناصرة عوامل الفساد التى ترى مصلحة لها فى بقائها ، أو خَلْقُ تلك العوامل

ولقد كان فى الدولة الاسلامية عامل جليل الأهمية لو بقى تأثيره فاشيا لكان الأدب العربى أرقى الآداب على الاطلاق لفظا وأعفها قصداً ، وأعظمها تساميا : ألا وهو الدين الاسلامى الذى يحض على مكارم الأخلاق والذى كانت الدولة تقوم على أساس منه ، ويتضح أثره فى عصر الخلفاء الراشدين ، وما كان من تأديب الحطيئة وردعه عن أعراض الناس

ولكن هذا العامل السامى الجليل تُنُوسِيَ فى غمار السياسة ، وجرفه تيار التكالب على الملك والسلطة ، فلم يَعُدْ الخليفة أو الأمير يغضب إلا أن يناله الشاعر بيذائه ، فبشار بن برد الذى ضج علية القوم ودهماؤهم عهداً طويلاً من فجوره وإقذاعه ظل مُعافىً ولم يمس بسوء حتى تمادت به جسارته إلى عرض الخليفة ذاته . أما ما دام الشاعر متقيا غضب الحاكم أو مجتلبا رضاه فلا ضير عليه أن يرمى باللؤم أنصار الرسول أو يفضل إبليس على آدم ، أو يتهكم بيوم الحشر ، أو يتفاخر بشرب الخمر ، أو يتلهى بسب الرجال وقذف المحصنات ، أو يتباهى بالتسلل إلى الخدور فى غلس الظلام

هكذا ضم الأدب العربى بجانب سامى الأغراض وشريف الأقوال وكريم الحكم والأمثال سقطاً من القول قوامه الأباحية والاستهتار ، وقام من الأدباء من صدموا الناس فى عقيدتهم وتقاليدهم ونالوا من أعراضهم وسمعتهم ، وأودعوا الأدب من خسيس الأقوال ووضيع الأغراض ما ينافى مقاصد الأدب وسمو الفن بالنفس الانسانية . ولما لم يكن للناس عاصم من شرهم من رأى عام أو حكومة ساهرة عَمَدَ مَن استطاع منهم بِحَولٍ أو مكيدة إلى الذب عن نفسه بنفسه ، وهكذا لقى المتنبى وابن الرومى حتفيهما على أيدى مهجويهما

وهناك عامل اجتماعى لابد أنه كان من عوامل ذيوع هُجر

القول فى الأدب العربى ، بل فى المجتمع العربى ذاته : ألا وهو انسحاب المرأة من المجتمع شيئا فشيئا ، ففقدَ الأدب باحتجازها وراء الحجاب عاملَ تجمُّلٍ وتَوَقُّرٍ وتعفُّفٍ فى اللفظ والغرض ، وصار الاخفاش من الذيوع بحيث لم يتردد كاتبان فحلان يمثلان مجتمعهما تمثيلاً كبيراً : وهما البديع والحريرى ، فى حشد مقاماتهما بمقذع السباب ؛ بل خَصَّصَا لذاك مقامات بذاتها

وأظهر ما يكون المجون والفحش فى الشعر فى أبواب الهجاء والخمريات والنسيب الخليع والتشبيب بالغلمان . وقد أوغل بعض الشعراء فى هـذه الأبواب إيغالاً لا يكاد يصدقه العقل . ومن العجيب أن الطريقة التقليـدية التى يجرى عليها تاريخ الأدب العربى لا تزال تعد من فحول العربية شعراء ولم يكد يؤثر عنهم مقال فى سوى هذه الأغراض الحيوانية . ومن البديهى أنه مهما تفنن الناظم وابتدع فى وصف الخمر وتصوير الشهوات فلن يرفعه ذلك الى مصاف الشعراء العظام ، إذ الشعر الرفيع لا يقاس بحسن الديباجة وبراعة المعنى فحسب بل بشرف الغرض أيضاً

فدواوين ابن أبى وبيعة وبشار وابن هانئ إن هى إلا استهتار واستسلام للشهوات وتمدح بالمخازى محكمة الديباجة بارعة النظم متنوعة الأوزان والقوافى ، تتخللها حكمة شاردة أو مثل سائر ليس للناظم فيه إلا فضل التأنق فى إعادة صوغه ، فاذا كان هؤلاء وأشباههم من فحول الأدب العربى فما أقصره عن بلوغ المثل الأعلى للأدب الراق !

ومما يفترق الأدبان العربى والانجليزى فى استجازته من أبواب القول — وإن كان بمنجى من الفحش — الفخر ، الذى لا يسيغه الأدب الانجليزى بحال ، على حين قد زخر الأدب العربى بما قيل فيه وعدّ باباً من أبواب الشعر التى تظهر فيها براعة الشاعر وتكمل بها منزلته . فالذوق الانجليزى لا يسيغ أن يُزكى إنسان بما يتخيله فى نفسه من مكارم وعظائم ، بل من أول ما تطمح إليه التربية الانجليزية — كما سبق الالماع — أن تكبح فى الناشئ نزعة الزهو والعجب ، وليس أمقت فى المجتمع الانجليزى ممن يدل بنفسه . ولم يكن الشعر العربى فى أول أمره يعرف الفخر بالنفس ، وإنما كان فيه فخر بالقبيلة والعصبية ولا بأس بهذا ، ثم استباح بعض الشعراء فيما استباحوا لأنفسهم التمدح بالنفس صدقاً وادعاء ، وغلوا فى مدح أنفسهم غلوهم فى مدح أصحاب النوال ، بل أغربوا فى المفارقة فجمعوا بين المدحين فى القصيـدة الواحدة ، ونسبوا لأنفسهم الحكمة والشجاعة والمجد وشرف المحتد ، وأجلسوا أنفسهم بجانب الشموس والبدور ، وأوسعوا الدهر والحظ والناس ذماً بقـدر ما أوسعوا أنفسهم مدحاً ، وتلك جميعا لعمر الحق بضائع النوكى !

فحرية القول — أو قل إباحته — فاشية فى الأدب العربى القديم ، بينما التحفظ ميزة الأدب الانجليزى ، وربما تغالى الرأى العام الانجليزى فى تحفظه وتشبثه بما يليق وحَجْرِهِ على ما لا يليق الخوض فيـه من حديث ، فناهض مفـكرين كان الخير الانسانى أو النفع العلمى كل مقصدهم ، كما كان موقفه من أوائل الداعين الى ضبط النسل مثلاً ، إلا أنه لا يلبث أن يخفف من غلوائه حين يتبين له شرف المقصد وفائدة الدعوة

ولئن حمدت الحرية الفـكرية الواسعة التى تمتع بها الفلاسفة والعلماء فى الدول الاسلامية فما كذلك الحرية التى استباحها المجان من الأدباء ، فالأولى حرية تساعد تقدم الفكر وترقى العلم ، والثانية تؤدى الى انحطاط الخلق وتضرب فى دعائم المجتمع ؛ الأولى حرية فـكرية نافعة ، والثانية إباحية خلقية ضارة . والأدب يرسم للأمة مثلا عليا تتوخاها ، فاذا تمادى فى تصوير دنىء النوازع فانه يهبط بالنفوس الى مستوى منحط لا تريد عنه ارتفاعا

وللأدب المـكشوف فى العصر الحديث دعاته الذين يحضون على اطراح النفاق الذى تفرضه التقاليد وتصوير الطباع على حقائقها ، على أن هناك فرقا بين المذهب الحديث وبين ما كان فاشـيا فى الأدب العربى القديم : فأنصار هذا المذهب ذوو مبدإ هم مقتنعون برجاحته يرون أن الأدب يؤدى مهمته ويرقى الأخلاق الانسانية بوصف دخائلها ومظاهرها دون تمويه ، أما الآخرون فلم يكن لهم مبدأ ولا غاية سـوى إرضاء الشهوات والنزوات وعلى الخلق الـكريم العفاء

وهيهات أن يخلو المجتمع الانجليزى أو غيره من آثار تلك المفاسـد التى أفصح الأدباء المتقدمون فى التعبير عنها ، ولـكن ما لا يقبله ذلك المجتمع هو المجاهرة بذلك والمفاخرة والتجاسر على تقاليد المجتمع التى ارتضاها لنفسه وقامت عليها أسسه ، وإبقال ذلك فى عالم الأدب الذى تحويه بطون الـكتب وترويه الأجيال ويُقصد منه الى السمو بالانسانية

فخرى أبو السعود

نبـــوّة المتنبّي

للأستاذ محمود محمد شاكر

كتب الأخ سعيد الأفغاني كلمة عن (دين المتنبي) في العددين من الرسالة (١٦١و١٦٢) سنة ١٩٣٦، وقد عرض فيها لنبوّة أبي الطيّب التي يزعمونها وقعت وكانت منه، ولم يجد مندوحةً عن القول (أو كما قال) : (بأن تنبؤه في الأعراب أمر وقع حقيقة ولا سبيل إلى الشكّ فيه، تضافرت على ذلك كل المصادر الموثوقة حتى التي كانت تميل إليه كل الميل، فانها لم تنف الأمر وإنما التمست له المعاذير) ثم علق على هذا فقال :

« قرأتُ أخيراً عدد المقتطف الذي كتبه الأستاذ شاكر عن المتنبيّ خاصّةً، فاذا به يذهبُ إلى نفي تنبؤ أبي الطيب الذي اتفقت عليـه كل المصادر تقريبا. وقد أنعمت في تدبُّر الأسباب الحادية على النَّفْي فلم أجدْ فيهـا مقنعا به من القوّةِ ما يقف لهذه الروايات الصحيحة ! !

والتاريخُ لا يثبت خبراً أو ينفيه تبعا لميل مؤلّف أو رأيه، ولا بد فيه حالَ النفي من التعرُّض لجميع الأخبار المثبتة خبراً خبرا وهذا لم يصنعه الأستاذ شاكر ! !

وأمر ادعاء المتنبي العلوية ليس فيه ما يهيج عليه الناس كل هذا، على رغم ذلك الخيال الجميـــل الذي لبس ادعاءه إياها في الكتاب المذكور ! !

وإذا كان ما ذهب إليه الأستاذ صحيحا، ففيم خجَلُ أبي الطيب وحياؤه كلما سئل عن أمر لقبه المتنبي ؟ ولم كان يعمدُ إلى اشتقاقه من النبوة تارةً، ويعتذر بأنه شيء كان في الحداثة تارة، ويقول إنه يكره التلقّب به، وأنه (يناديه) به من يريدُ الغضَّ منه ؟ وعلى أيّ شيءٍ تقع كلمةُ كافور : « من ادعى النبوة بعد محمد أما يدّعى الملك مع كافور » ؟ وكافور ليسَ من الذين يختلقون على شاعر، ولا ممن يروّج الاختلاق ! !

وقد روى المعرّي — وهو الحجّة الثبت — أمر التنبّؤ، وما حفَّ به من حادثٍ ومعجزاتٍ في رسالة الغفران. وأبو العلاء كان أحرى أن يشكَّ أو يكذب الخبر، لو أن في الأمر مجالاً للشكّ واحتمالاً للتكذيب، لأنه أشدُّ حبا للمتنبيّ، وعصبيّة له، وهو أنفذ بصيرة فيما يقال وأحكمُ نقدا للأخبار، مع قرب زمان، وصفاء ذهن، وقوة حجة، ومواتاة وسائل التحقيق إذ ذاك ! ! » . انتهى ... الرسالة سنة ١٩٣٦ (العدد ١٦١ — ص ١٢٥٥)

وأنا قد قرأتُ هذا الكلام في موعده حين صدرت الرسالة وأردتُ أن أردّه، ثم بدا لي أن أدَعه حيث هُوَ، فان الذي قرأ ما كتبت يعلمُ مقدار ما في هذا الكلام من الجودة وحُسن الأداءِ وقوّة الحجة وجلاءِ البيان وسعة الاضطلاع وبلاغة الفهم، ولكن بعض أصحابنا لم يزل بي حتى أخذ مني موثقا أنْ أقول كلمتي فيه

وهذا النقْد الذي رماني به أخي الأستاذ سعيد ليسَ ممّا يثيرني ويُغريني بحمل السلاح والاستعداد للمعركة. ولستُ أقول هذا استصغاراً لما يقول أخي أو استكباراً لما قلتُ، بل هو حكمي عليه مجرَّداً من كلّ ما يجعل الحكم قاصرا أو باغيا

وهذا الذي كتبه الأخ سعيد ليس ممـا أعدّه عندي نقداً، وإنما هو اعتراضٌ، والاعتراض شبهة، والشبهةُ يزيلُها البيانُ. أما النقد فأمر آخرُ لم يسوّغ للأخ أن يظفرَ بالقدرة عليه فيما كتب(١)

وقد أتى الأخ سعيد في كلامه من قِبَل أنه عدَّ الأخبار المروِيّة عن نبوّة المتنبيّ وغيرها أخباراً صحيحةً ابتداء، وهـذا أوّلُ الزلل في نقد الناقـد. ولا بد لمن يريدُ أن ينقد ناقداً أو يكتبَ فيما يتناولُ الروايات والأخبار أن يتحقق بَدءاً بمعرفة الأصولِ في عِلم الرواية، وأن يستيقن من قدرتـه على ضَبْطِ الفكرة حتى لا تنتشر عليه وتتفرّق، ويقع فيهـا الاختلاف والتضاربُ والمناقضة. فلا بُدّ لي هنا من أن أدلّ الأخ على الأصل في الأخبار حتى يعرف فرقَ ما بين الذي انتهينا إليـه، والذي وقف عنـده غيرنا، ثمّ نكشِفَ لهُ عن الشبهة التي

(١) سنبين رأينا في النقد فيما كتبناه للمقتطف الذي سيصدر في أكتوبر القادم، رداً على كلمة نقد جليلة للأخ وديع تلحوق نشرها المقتطف في عدد يوليه سنة ١٩٣٦ (عن أبي الطيب المتنبي، ونسبه العلوى)، فلينتظرها الأخ سعيد ثَمّ.

جملته يعترضُ الذى كتبناه بالذى رفضناهُ ورددناه وأسقطْنا الثقة به والاعتماد عليه

فالأخبارُ جميعاً تحتمل الصدقَ والكذبَ كما يقولون ، ومعنى ذلك أنها على حالة من البراءة الأولى لا توصفُ بصِدْقٍ ولا بكذبٍ . ولا يستحقُّ الخبرُ صفة الصدق إلاّ بالدليل الذى يدلُّ على صدقِهِ ، فاذا لم تجد الدَّليلَ على صدقِهِ ذهبتْ عنْهُ صِفةُ الصدقِ وبقى موقوفا . فاذا اعترضتْهُ الشبهات من قِبَلِ روايته أو من قِبَلِ درايته مالت به الشبهة إلى ترجيح الكذب فيه ، فلا يؤخذُ به ولا يعتمدُ عليه ، ويكونُ عملُ الناقدِ بعد ذلك أن ينظرَ فى هذا الخبر نظرة التدبر ليستخرج الحقيقة التى من أجلها تكذَّبهُ راويه ، وبذلك يقَع على حقائق مدفونة قد سترها الراوى بما كَذَب . وقد أشرنا إلى ذلك فى كتابنا (المقتطف يناير سنة ١٩٣٦ ص ١١١) وإليك ما قلناهُ :

« اعلم أن أكثر ما يُروى فى ترجمة هذا الرجل وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التى تتناقلها مجالسُ الأدباء ، ولا يرادُ بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ؛ بل إن كثيراً مما يروى فى تراجم رجالنا كان مما يُرادُ به مضغُ الكلام فى مجالس الأمراء أو فى سامر الأدباء — هذا على أنها ربما حملت فيما تحملَ أشياء لولا ورودها فى هذه النصوص لافتقدنا من حلقات التاريخ حلقات لا ينتظم أمره إلاّ بها ، ولا يستمر إلاّ عليها . فلمثل هذا كان لا بُدَّ لنا من النظر فى النصوص وتمييزها ، وردِّ بعضها والأخذ ببعض ، حتى لا تنقطع بنا السبل فى الترجمة لهؤلاء الأعلام . فلا يفوتنك هذا إذا قرأت ما نكتب ، أو أردت أن تقرأ أو تكتب »

وأنا حين أردت أن أكتب عن المتنبى نظرت فى هذه الاخبار خبراً خبراً ، فلم أجد دليلاً واحداً يجعلها تستحق عندى صفة الصدقَ فأبقيتها موقوفة ، ثم عدت فنظرتُ فتناوشتها الشبهات واعتورتها الطعون ، فلم أجد بداً من وسمها بالكذب ، ثم عدت اليها فعارضتها بالعقل وشعر الرجل وحوادث التاريخ لأستخرج منها الحقائق التى يسترُها الرواة والتكذّبون فوقعت لى أشياء هى التى جعلتها أصلاً فيما كتبت ، وأنا على يقين من أن الأستاذ سعيد لم يتنبه إلى هذا الذى فعلناه ، مع أنه هو الأصل فى الكتابة والتحقيق ، أما التسليمُ فليسَ يجدى شيئاً إلا التكرار والمتابعة ، ثم الزلل والتورط فيما أراد الكذابون أن يحملوا الناس عليه ويوقعوهم فيه

ويقينى أن الأخ سعيد لا يجد دليلاً على صحة هذه الروايات فيما يزعم إلا أنه قد رواها فلانٌ وفلانٌ ، ورواها المعرى — وهو الحجة الثبت — « وهو أشد منا حباً للمتنبى ، وعصبية له ، وهو أنفذ بصيرة وأحكم نقداً للأخبار مع قرب زمان وصفاء ذهنٍ وقوةِ حجة ومواتاة وسائل التحقيق إذ ذاك » ، ونحن لا ننكر على المعرّى شيئاً من ذلك ، ولكن الذى ننكره أن الذى كتبناه كان عصبيةً لأبى الطيب ، أو حُباً له أو فيه . ليكن المعرى صاحب عصبية ، فذلك لا يجعلنا نحن من أهل العصبية حتى نعبث بالحقيقة ، ونلعب بفن النقد من أجل أبى الطيب أوغيره من الرجال

أما أن رواية المعرى — وهو صاحب عصبية لأبى الطيب — مما يصحح هذه الأخبار أو يرجح الصدق فيها ، فهو حكم خطأ لا يصح لأحد أن يتابع عليه ، فان أبا العلاء لم يُشهِد كتبَه أنه لا يروى إلا الصحيح من الأخبار ؛ وتركُ المعرّى الشك فيها أو تكذيبها ليس يقوم أيضاً دليلاً على صحتها ، وليس المعرى بمنزهٍ عن الخطأ والغفلة ، وهو من هو ، فذهاب وجه النقد عن المعرى ليس يكون طعناً فيه ، ولا يوجب نسبة الكذب اليه ، ولا نفى صفة الصدق عنه

وأحبُّ أن أقرِّب إلى الأخ حقيقة هذه الروايات . . . فهو يعلم أن الرواة قد رووا للرسول صلى الله عليه وسلم معجزاتٍ كثيرة ؛ وكثير من الذى رووه لم يثبته أهل العلم بالحديث على طريقتهم ؛ وقد رواها قومٌ على عهد الصحابة والتابعين ، وهى كذبٌ مخترعٌ بشهادة أئمة هذا العلم ، وقد بقيت هذه الآثارُ مروية إلى يوم الناس هذا ، وهى عند المتأخرين شائعة معروفة متداولة مصدقة ، وقد وردت فى كتب كثير من الأئمة العلماء . أفيكون تداولها وذيوعها وتصديق العامة لها ، وورودها فى بعض كتب العلماء هو الدليل الذى لا دليل غيره على صحة هذه الأخبار ؟ ! وأكثر من ذلك ، أيكون ظهورها على عهد الصحابة والتابعين — على قرب زمن كما يقول الأستاذ —

وتصديق بعض العامة لها فى ذلك العصر ، وسكوت بعض العلماء عن الكلام فيها مما يدل على صدقها ؟!

ونحن قد أتينا فى الذى كتبناه عن المتنبى بالشبهات التى ترجح الكذب فى هذه الروايات التى يراد بها الوضع من قدر الرجل والتحقير له ، والطعن فى نسبه أو عقله أو خلقه أو أدبه . لا .. بل بينا أن ألفاظ هذه الروايات وحدها تحمل أكبر شبهة ، كالذى روى عن هذا اللاذقى المسمى معاذ بن إسماعيل ، وقد روى الخبر بطوله فى كتب كثيرة ، وأوردناه بتمامه فى كتابنا ص ٤٥ — ٤٧ واختصره الأخ سعيد فى كلامه فى العدد (١٦١) من الرسالة ، ولا أدرى لم اختصره ، فان الذى يقرؤه يجد فيه سمة الوضع والكذب مستعلنة كما لم تستعلن فى حديث غيره . وقد بينا بعض وجوه نقده فى كتابنا من ص ٤٩ — ٥٢ . فكانت حجة الأستاذ سعيد فى رد قولنا وإسقاطه أنه (لم يجد فيه مقنعاً به من القوة مايقف لهذه الروايات الصحيحة) ، وكان حقاً على الأستاذ أن يعلمنى وجوه الضعف فى قولى حتى استبرىء منه ، أما هذه الكلمة المجردة فليست بالتى تسقط كلامنا جملة واحدة حتى ولو كان هذا الكلام سقطاً محضاً

أما ما اعترض به علينا فنحن نبين له وجه بطلانه . يقول : « وإذا كان ما ذهب إليه الأستاذ صحيحاً ، ففيم كان خجل أبى الطيب كلما سئل عن أمر لقبه المتنبى . . . ؟ » إلى آخر قوله : فان هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواية ، وقد أتى به القوم ليعضدوا قولهم فى خرافة النبوة . وإذا كان أمر نبوته مشهوراً متعالماً أو كما يقول اللاذقى إن دعوته (قد عمت كل مدينة بالشام) ، وقد بلغ من شهرتها أنه قبض عليه من أجلها بالشام أيضاً وحبس (دهراً طويلاً) ، وأن له قرآناً أنزل عليه .. يزعم أبو على بن أبى حامد أن أهل الشام كانوا يحكون له سوراً منه كثيرة وأبو الطيب إذ ذاك بحلب ، فكيف يعقل بعد هذه الشهرة أن يبتدر إليه هؤلاء فيسألونه عن حقيقة هذا اللقب ؟ إن السؤال عن (حقيقة اللقب) بعد هذه الشهرة التى يزعمونها ليدل دلالة قاطعة على وضع هذه الأحاديث المروية والأخبار المتداولة التى تهور كثير من الأدباء فى التسليم بصحتها كما فعل الأخ سعيد . ولقد كان هؤلاء الذين يزعمون أنهم سألوا أبا الطيب عن حقيقة اللقب (المتنبى) يسألونه وهو بالشام ، وفى الشام أظهر نبوته وفى الشام اشتهر أمره ، وأكبر من ذلك أنهم يزعمون أنهم كتبوا عليه وثيقة أشهدوا عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأنه تائب منه ولا يعاود مثله . فهلا كان الأولى بهم أن يظهروا على هذه الوثيقة ولما يمض عليها كثير دهر ، وقد أخذها وال من الولاة فهى — ولا بد — محفوظة فى ولايته . وكان أبو الطيب شجا فى حلوق الأدباء والشعراء وكثير من أصحاب السلطان وهو فى جوار سيف الدولة . وقد أوقعوا بينه وبين أميره بكل ما ملكوا من أسباب للوقيعة ، أفتظن أنهم كانوا يحجمون عن إظهار هذه الوثيقة ، وإحراجه بها ، والعمل بها على تحقيره ، ثم على المنافرة بينه وبين سيف الدولة ! ! كانت كل هذه النقائض بالشام ، ومع ذلك لم يكن من أثرها إلا هذه الروايات الضعيفة التى تحمل ألفاظها الشكوك والريب

وأسخف من هذه الرواية رواية من يروى أنه كان يعمد إلى التمويه على الناس بقوله : إن هذا اللقب (المتنبى) مشتق من النبوة ، فليس يعقل أن أبا الطيب — وهو يعلم أن نبوته كانت مشهورة كما ذكر الرواة — يعمد إلى هذا التوجيه الضعيف الميت ، وهو يعلم أنه كاذب ، وأن الناس مكذبوه لأنهم يعلمون حقيقة أمره

واعتذاره بأنه يكره التلقب به ، وأنه يدعوه به من يريد الغض منه فهو بسبيل من ذلك فى الضعف والسخف . على أنه مع ذلك لا يدل دلالة ما على حدوث النبوة التى يزعمونها ، بل على العكس من ذلك . . . إنه ليدل على أن هذا اللقب مفتعل موضوع للكيد له والغض منه ، وأنهم كانوا قد وضعوه له ليغيظوه به . ومثل ذلك كثير فى كل عصر ومكان . ولعل الأخ سعيد لا يعدم رجلاً فى بلده قد نبزه الناس بنبز يغيظونه به ، ولا نشك أن هذا الرجل (يكره التلقب به ، وإنما يدعوه به من يريد الغض منه)

وأما كلمة كافور فهى كلمة مفتعلة موضوعة ، وإلا تكن كذلك ، فليس فيها أيضاً ما يدل على شىء محقق كان قد حدث من أبى الطيب . وكافور كان قد سمع هذه الدعوى التى يزعمونها عن نبوة أبى الطيب وسلم بها ، ثم تكلم ، وليس تسليم كافور بها

سنداً لها يحقق تاريخها ، ويثبت وقوعها بعد الذى ذكرنا لك من ضعف الروايات

هذا وقد أراد الأستاذ سعيد أن يعلمنا سبل التحقيق فى التاريخ فقال : « والتاريخ لا يثبت خبرا أو ينفيه تبعاً لميل مؤلف أو رأيه ... إلى آخر قوله » وهو قد فعل أكثر من ذلك وأكبر ، وذلك أنه بعد اعتراضه قال : « وكافور ليس من الذين يختلقون على شاعر ، ولا ممن يروج الاختلاق » ، ولم يرد فى كلامنا ذكر كافور واختلافه حتى يعقب الأستاذ هذا التعقيب . هذه واحدة ، والأخرى أن الأستاذ قد حكم على كافور حكما لم يرد له ذكر فى كتاب ، فهل يستطيع أن يؤيد هذا الحكم بالدليل التاريخى والبرهان العقلى أن كافوراً لم يكن يختلق على الناس ، ولا يروج الاختلاق . . ؟ ! لقد أتينا نحن بالروايات ونقضناها بالدليل — ضعيفاً كان أو قويا — أما أستاذنا فقد حكم على رجل بغير دليل ولا بينة من التاريخ أو غيره

ثم بقى اعتراض الأستاذ الذى يقول فيه : « وأمر ادعاء المتنبى العلوية ليس فيه ما يهيج عليه الناس كل هذا » . وأنا لا أعلم ماذا يريد الأستاذ سعيد بقوله (كل هذا) ، وإذا أرادنى على أن أجيبه على ذلك فليبين لى صورة المبالغة فى قوله (كل هذا) ، فأنا لا أعلم من أمر هذه المسألة أكثر من أن الرجل قبض عليه بالشام وحبس . أما هياج الناس فلم يرد له ذكر فى كلامنا ولا فى كلام الرواة . وأما حبسه أو قتاله من أجل العلوية فليس ببدع فى التاريخ ، وكان لزاماً على الأستاذ قبل أن يكتب هذه الجملة ويصوغ هذا الاعتراض أن يرجع إلى كتب التاريخ ليعلم أن الذين قاتلوا أبا الطيب وحبسوه ، كانوا قد قاتلوا من قبله قوما أو حبسوهم من أجل ادعاء العلوية ، وكذلك فعلوا مع العلويين الذين خرجوا عليهم فى أرضهم وديارهم . فقتاله وحبسه ليسا يثبتان أن هذا الذى كان من أبى الطيب إنما كان لإظهاره النبوة لا ادعاءه العلوية

وبعد ، فلو حمل الأخ سعيد نفسه على تدبر الذى كتبناه فى المقتطف عن المتنبى لما وقع هذا الاعتراض الذى حاك فى صدره ، وقد أشرنا مرات فى كتابنا إلى وجوب ذلك ، فقد كنا نترجم للرجل ترجمة صحيحة يقرؤها القارئ ليتمثل صورة هذا الشاعر العبقرى وفاء له وتقديراً بعد مرور ألف سنة على وفاته ، فلم يكن سبيلنا أن نتعرض لأصول النقد وشرحها وتفصيلها ، ولم نأخذ الروايات جميعها بالنقد مرة واحدة ، فإن ذلك كان يقتضى منا وقتاً كثيراً وكتاباً كبيراً ، ولكن من يطلع على الذى كتبناه منصفاً متدبراً عارفا بطرف من أصول نقد الرواية يعلم يقينا أننا لم نكتب حرفا واحداً إلا بعد أن استوفينا عندنا نقد الأخبار (خبراً خبراً) كما يريد الأستاذ سعيد ، وليس عسيراً على المتدبر أن يستخرج من الذى كتبناه الأصول التى نقدنا بها هذه الأخبار . ولعل الأستاذ قد قرأ كثيراً مما فاضت به الصحف والمجلات عن المتنبى ، وقرأ فى خلال ذلك كثيراً من نقد الأخبار التى رويت ، ولعله رأى أيضاً أن هؤلاء قد اتخذوا كتابنا مصدراً استنبطوا منه أصول النقد التى وضعناها ، وقاسوا عليها فأخطأوا وأصابوا ، وليس هو بأقل منهم حتى يفوته ما أصاب غيره

محمود محمد شاكر

الحنين . . .

للأستاذ محمد شوكت التونى

أخى الصديق . . .

تناولت منذ يومين رسالتك التى أنمرها صمت سنين خمس لم أتلق طوالها كلمة منك ، ولا نبأ عنك — بمزيج مبهم من العواطف والأحاسيس . وأدركت — كما تدرك بعض الحقائق الخفية — أو المنكورة فى بعض المناسبات — أن كثيراً مما نعتبره مبالغة قد يقع ويظهر لكل عين مجردة كحقيقة عارية ، كما يصبح كثير من الوهم أو الخيال مخترعات تحس وتلمس ، إذ أن محيط الحياة خفى الأمواج ، وخفاء الأمواج يلد العجائب !

لقد كنت أحسبه مبالغة قول من يقول : « إن وصول خطابك قد أعاد إلىّ بصرى كما أعاد قميص يوسف الضوء إلى بصر يعقوب الحزين الكظيم »

فعرفت بعد ورود خطابك إلىّ أن فى هذا القول كثيراً من الحقيقة ، وأن البصر قد يكون حاسة من الحواس الخمس وقد يكون نوراً ينبعث وهاجاً فى القلب ، والخاطر ، والنفس ، وأن بعض الانفعالات قد تسمو وترتقى فتمسى عند صاحبها أقوى من البصر ، وأعظم من نفس الحياة . . .

لم ترد يا صديقى أن تكتب الىّ بالتحية ، ومحوتها سلفاً من جبين كتابك مدركا أن التحية إذا ألقيت مجاملة كانت نافلة وعملاً بين الصحاب غير نافع ، وإن قصد بها التعبير عن الشوق فتحصيل حاصل . فليس بمنكر أن سنين خمساً لجديرة بأن تلهب قلبى صديقين مخلصين لم يتساقيا من كؤوس الود إلا أصفاها عنصراً وأحلاها مذاقاً وأبقاها أثراً

ولكم كنت لبقاً وأريباً . وكانت كلماتك مؤثرة حين ذكرتنى بعهدى الأدبى الخالى ، وأيامه ولياليه الصافية الورد ، والساعات التى كنا نمضيها باحثين فى فنون الأدب ، منتجين أبطال قصصنا ، نراهم تحت أسماعنا وفى محيط أبصارنا يعيشون قطعاً من أكبادنا وخفقات من قلوبنا ، ودمى تملؤها عواطفنا دماً وروحاً ، فينبعث فينا شعور بالرضا والغبطة إن لم يصل إلى غبطة الالـه بمن خلق — سبحانه — فهى تسمو وتعلو عن غبطة الوالد عند مرآى أبنائه ونماء فلذات كبده . . . لأن نظارة الأب إلى أبنائه ، وارهاف أذنيه إلى أحاديثهم يغمرها الحنان الأبوى الغريزى فيعطل فيهما نواحى التفكير ويفسد عليهما حسن التقدير . أما أبناؤنا نحن فكانوا دائماً محاطين منا بالعاطفة والفكر . . . !

. . . ولعلك يا صديقى حين تذكرنى بهذا العهد السعيد الفائت لا تبغى أن تقطع نفسى ونفسك حسرات وتلهب سعير الحزن وتشعل جمرة الأسى ، وإنما تقصد الهتاف للخفى المغيب فى أعماق كى تثيره للحركة بعد الجمود ، فأنت تقول : « لقد انصرفت عن ميدان الأدب كى تؤدى واجباً وجب . وتقف فى الصف الأمين تجاهد فى سبيل بلادك وحريتها ، وتناضل عن حرية الأفراد المرهقين بعسف المستبدين . والآن وقد انجلى الفجر البديع عن حياة جديدة لمصر بدأت تسفر عن وجهها وترفع النقاب عن جمالها ، أما راجعك الحنين إلى الأدب تغذى عاله بقلمك ..؟ »

أما الحنين يا صديقى فأقسم ما فارقنى طوال ذلك العهد ، وإنما كان معذبى ومسعدى

فان هوى النفس — كما تعلم — غلاب لا يقهر ، نفاذ إلى مقصده لا يتقهقر ، وهو أقوى من الرغبات وأشد منها عناداً ، وأسبقها فى النفس وجوداً ، وهو — بعد — مرآتها العاكسة لعنصرها ، فاذا كانت أمارة بالخير ، فهواها هو الرشد ، يبرز مقنعاً فى صورة رأى صائب ، أو حركة نافعة

وكل من فى هـذا الوجود مسير بالنفس — الامارة بالخير أو بالشر . ولكل هوى صورة كائنة حية هى ظاهرة فى أعمال صاحبه تبدو لأعين الرائين من الناس . كما أن لها ناحيتها الخفية التى لا تظهر ولا تنم ولا تبين . وتلك أرق الصور وألطفها . تولد فى الاعماق ، وتعيش وتنمو إذا راقها المهد ، ولذتها الحضانة ، فتطول حتى تصاحب العمر إلى نهاية الأجل . . . تلك الصورة يا صديقى هى « الحنين » . . . أثر قوى من هوى النفس وصورته الخفية ، يعيش فى جوانب العالم الانسانى الخفى ويسبح مع الأمل فى الخيال ، ويرف مع الرجاء فى مسابح الروح ، ولكنه أبداً لطيف لا يشف ولا يكتشف ولا يحاول غدر صاحبه فيبدو غصباً

لا يعاند صاحبه ولا يجادله أو يخاصمه ولكنه أبداً متفق معه متسق وخياله وتفكيره ، يقرب له بباحات الأمانى ويهون

عنده بالغات المصائب ، ويذلل له شامسات المصاعب

يناجيه ويناغيه ويغذيه فى أوقات تأملاته وحين البأس ، ويسعده ويبث فى نفسه الترسل فى العزاء فى لحظات الأسى واليأس

* * *

وصاحبك يا صديقى — كما تعرف ولا يعرف الكثيرون — فنان اتقدت شعلة الفن بين جوانحه منذ الصبى فأدرك معناها مبهمة كأنها الغريزة ، واندفع فى سيال مجراها يقرأ وينتج لا لمال أو شهرة ، واستطاع أن يوفق بين حياة الدرس وحياة الفن ، غير أن العمر قد تقدم بصاحبك إلى ميدان المسئوليات ، وتوزع الجهد بين مختلف ما يطلبه الجهاد فى سبيل بلاده ، والجهاد فى سبيل مهنته ، ما يستغرق يومه كله إلا ساعات للنوم ماعرف النوم فيها إلا اسماً ورؤى ! فألفى لذلك قلمه لا يكتب فى الأدب ولا فى الفن ، وإنما يكتفى باختلاس بعض الوقت يغذى فيه بعض نهمته للقراءة والاطلاع

وشقى صاحبك بهذا الحرمان ، فقد تزاحمت عليه فى حياته الجديدة موحيات للفن من حوادث ذاك الجهاد ومن ألوان ذلك العيش العتيد

ولكم جلس إلى فكره وخياله ونفسه والشعلة متقدة والنفس راغبة ، وقلمه فى يده ملتهب الشوق ، ويود بقطع الوتين أن يعيش فى حياة الدنيا التى يرسمها ويصورها — بل يخلقها — ساعات هى من العمر إن كان بعض العمر حياة وبعضه عدم ، فلا يلبث أن يناديه واجبه ولا يسمع إلا رد النداء

ولعلك تعرف يا صديقى أن صاحبك المحامى يحيا — فى مهنته — فى محيط من آلام الناس وعذاب بنى البشر ، يعيش للمظلوم ويجاهد فى سبيل الباكى الأسير

والفنان كما تعرف أيضاً لا يعيش لنفسه وإنما يعيش للانسانية مختزلة — فى زمن حياته — فى جيل معين وقوم معينين لا يستريح أو تسعده حياته إذا ظلت خواطره وأفانين انتاجه وثمار فنه رهن عبسها — فى قرارة النفس أو فى مستقر الخيال والفكر — وإنما هو شقى بفنه إن لم يؤده إلى مستحقيه ، فالشمعة وهى غير مضاءة فيها عناصر الضوء ولكن قيمتها عدم ، فاذا أشعلت واتقد لهبها وبدأت تحترق أعطت نفعها وهى تبذل حياتها طبقة طبقة حتى تخبو وتفنى ، وحياة صاحبك — فى عمله تعطى له فى كل لحظة وحياً وإلهاماً ... أولئك المظلومون يستصرخ لهم القضاء ، والقضاء ظل الله فى الأرض ولسان كلمته ويد قضائه وقدره ، ولكنا فيه من قدسيته وتنزهه القليل اليسير ، فقد ينصف المظلوم وقد ينخدع فى حيلة الظالم ، وكم تموت حقوق فى يد قضاة الحقوق ، وأولئك الأبرياء يقفون بين شاطئ الموت وشاطئ النجاة فوق موجة قلقة غير مستقرة ، كلمة واحدة تقذف بالموجة إما إلى اليمين حيث الحرية والحياة ، وإما إلى اليسار حيث الفناء وملاقاة رب عادل منتقم كريم . حولهم — فى هول موقفهم — أهل وصحب يبكى بعضهم بدموع من قلب حزين ، ويتباكى بعضهم بدموع خادعة كاذبة . تتنازع الحياة بآلامها وحسراتها — نفوسهم أضعاف ما تنازع من يكون عليه ...

وذلك الأب قتل فى سبيل دفع عار عن آله وأبنائه وأحفاده أو فى سبيل الحصول على طعام يرد عن أولاده شر المسغبة ، تقسو عليه الحياة فيقف فى القفص الحديدى ينصت إلى شهادة ولده الصغير وهو يقص على القضاة ما رآى من جريمة أبيه ...

وتلك الأم الحانية الرؤوم حاول ولدها قتاها عن غواية وطيش ، فتدلف محطمة إلى ساحة القضاء تطلب البراءة له وتسترحم فى مصيره من بيدهم المصير

وذلك الزوج أعز زوجه ودللها ومهد لها نعيم الحياة فبادلته بالحب غواية وبالاخلاص خيانة ، فأرداها وفقد نعيمها وهو يسير فى اغلاله إلى جحيمه ، وبذلك فقد النعيمين . . . فى الدنيا وفى الآخرة !

ثم أولئك المجرمون — الباغون السفاكون فعلوا فعلتهم — فى غاشية ، ثم ردت إليهم إنسانيتهم فوقفوا أمام القضاء فى ساعة الهول يوقنون بالنهاية المحتومة ويفزعون بالوهم إلى الأمل ويعدون — بأيديهم — حبل أعمارهم . . . بنظرة باسمة من محاميهم !

. . . هؤلاء وغيرهم ، وحياتهم تلك اللحظات هى مختصر لكل محيط الحياة يعيش صاحبك فى وسطهم ويحيا لهم ومن أجلهم يوحون إليه الرثاء للانسانية والبكاء على أطلال الفانين وأشباح المذنبين ... ويحاول فنه أن يقوم بواجبه كفنان ، ولكن واجباً

آخر أقوى جذباً وأشد فعلاً يطغى ولا يرضى إلا أن يكون وحده صاحب الحق على شؤون صاحبك الذى يعمل ويعمل ، والحنين ماثل فى عالمه الخفى يسعده ويعذبه . . . ذلك الحنين الذى ولدته العواطف المحبوسة والآلام الطائفة كل يوم — بل كل لحظة — بالنفس والقلب ، ثم كبر ونما وطال واستطال على كل منزع ، وركب كل منفذ ، وصعد مع الروح إلى أعلى سبحاتها ، وجرى مع الدم إلى أقصى شوط من شرايينه ، وغاص إلى أعمق أعماق النفس وسبح فى ظلماتها وتراوح فى أمواج ضوئها وجاب أنحاء القلب وارتقى صخوره وانآد فوق لينه وامتطى متون غيومه . . حتى أصبحت أحسه كياناً فى جوار كيانى ، أراه فى بعض الأحيان ممثلاً إلى جانبى فى صورة طيف أو خيال ، وقد أسمعه ينادينى ويناجينى ، وقد أضطر إلى أن أجيبه فأحدثه وأقارضه نداء بجواب ومناجاة بنجوى . . يسير معى — كالصديق الوفى — فى النهار فيكاد يعزلنى عن سائر الناس ، وفى الليل ... فى الليل الأخير حيث تنام الناس وترقد الأعمال فأبقى فى الوحدة والسكون ... أنا وهو ... والله ثالثنا ...

ولكم حاولت أن أفلت من زمامه وأنجو من إساره وأفك عقالى من يديه فما زدت إلا تعلقاً به وتشبثاً بأردانه وأطرافه ...

لقد غلبنى على أمرى ونزع شأنى من إرادتى فرضيت أسره ولذت لى غلبته ... وبات كما كان ... مسعدى ومعذبى ...

***

أما اليوم يا صديقى وقد انجلت الغمرة وهدأ ميدان المعركة ، وبسم الشهداء فى عليين وترنحت النفوس طربا ، ورقصت القلوب فرحاً ، وآن للمجاهد فى سبيل الحرية أن يغمد سيف جهاده ، ويولى وجهه شطر إصلاح بلاده ، فقد توفر لى من الوقت نصفه أو يزيد وسأراجع عهدى القديم وأحاول أن أفك إسار الحنين وأشفى داءه وأروى صداه وأتحرر أنا من اغلاله ... لعله لا يبقى معذبى ويظل مسعدى وحسب

سأمسك قلمى وأكتب للأدب والفن . لا أريد مالاً ولا شهرة ، فحسبى من الثانية ما نلت ، وحسبى من غنى شبع ورى ... وإنما لوجه الحق فى صوره السامية : الله والوطن . نجاهد فى ميدان الأدب والفن ، وعذاب الجهاد فى سبيل الحق أسمى مراتب اللذات

محمد شوكت التونى

للتاريخ السياسى

معاهدة الصداقة والتحالف

بين مصر وانجلترا

— ٣ —

ملحقات المعاهدة

ملحق للمادة الثامنة

١ — من غير اخلال بأحكام المادة السابعة يجب ألا يزيد عدد قوات صاحب الجلالة الملك والأمبراطور التى توجد بقرب القنال على عشرة آلاف من القوات البرية وأربعمائة طيار من القوات الجوية ومعهم العدد الضرورى من المستخدمين الملحقين للادارة والأعمال الفنية ، ولا يشمل هذا العدد الموظفين المدنيين كالكتبة والصناع والعمال

٢ — توزع القوات البريطانية التى توجد بقرب القنال كما يأتى :

(ا) فيما يتعلق بالقوات البرية فى المعسكر ومنطقة جنيفة على الجانب الجنوبى الغربى للبحيرة المرة الكبرى

(ب) وفيما يتعلق بالقوات الجوية على مسافة خمسة أميال من سكة حديد بورسعيد — السويس ، من القنطرة شمالاً إلى ملتقى سكة حديد السويس — القاهرة والسويس الاسماعيلية جنوباً مع امتداد على خط سكة حديد الاسماعيلية — القاهرة بحيث يشمل محطة القوات الملكية للطيران بأبى صوير وما يتبعها من الأراضى المعدة لنزول الطائرات والميادين الصالحة التى قد تنشأ شرقى القنال لاطلاق النار وإلقاء القنابل من الطائرات

٣ — يعد فى الأماكن المحددة آنفاً للقوات البريطانية البرية التى حدد عددها فى الفقرة الأولى سالفة الذكر بما فى ذلك أربعة آلاف من الموظفين المدنيين (مع خصم ألفين من رجال القوات البرية وسبعمائة من رجال القوات الجوية وأربعمائة وخمسين موظفاً مدنياً وهم الذين توجد لهم الآن معدات السكن) ما تحتاج إليه من الأراضى والثكنات الثابتة والمستلزمات الفنية بما فيها توفير الماء الذى قد تستلزمه الطوارئ ، وتكون الأراضى والمساكن وموارد المياه مطابقة للنظم الحديثة ؛ وفضلاً عن ذلك تقدم للجنود

وسائل الراحة المعقولة مع مراعاة طبيعة هذه الجهات وذلك بغرس الأشجار وإنشاء الحدائق وميادين الألعاب الخ . ويعد موقع لاقامة مصحة للنقاهة على ساحل البحر الأبيض المتوسط

٤ — تقدم الحكومة المصرية الأراضي وتنشئ المساكن وموارد المياه ووسائل الراحة ومصحة النقاهة المشار إليها في الفقرة السابقة باعتبارها ضرورية علاوة على ما هو موجود منها الآن في تلك الجهات وذلك على نفقتها الخاصة على أن تساهم حكومة جلالة الملك في المملكة المتحدة بدفع ما يأتي :

١ — المبلغ الذي أنفقته الحكومة المصرية فعلاً قبل سنة ١٩١٤ في إقامة ثكنات جديدة أنشئت لتحل محل ثكنات قصر النيل في القاهرة

٢ — تكاليف ربع الثكنات والمستلزمات الفنية للقوات البرية على أن يدفع أول هذين المبلغين في الوقت المحدد بالفقرة الثامنة الآتي ذكرها لانسحاب القوات البريطانية من القاهرة . ويدفع المبلغ الآخر في الوقت المعين لانسحاب القوات البريطانية من الاسكندرية طبقاً للفقرة الثامنة عشرة الآتي ذكرها ؛ وللحكومة المصرية أن تتقاضى إيجاراً مناسباً نظير استعمال المساكن المعدة لاقامة المستخدمين المدنيين ويتفق على قيمة الايجار بين حكومة صاحب الجلالة والحكومة المصرية

٥ — بمجرد نفاذ هذه المعاهدة تعين كل من الحكومتين فوراً شخصين أو أكثر تتألف منهم لجنة يعهد إليها بجميع المسائل المرتبطة بتنفيذ هذه الأعمال من وقت البدء فيها إلى حين تمامها . وتقبل مشروعات التصميمات ورسومها التخطيطية (الكروكية) والمواصفات التي يقدمها ممثلو حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة بشرط أن تكون معقولة وألا تتجاوز مدى التزامات الحكومة المصرية الواردة في الفقرة الرابعة . ويجب أن يقر ممثلو كل من الحكومتين في هذه اللجنة التصميمات والمواصفات الخاصة بكل عمل تقوم به الحكومة المصرية قبل البدء فيه . ويكون لكل عضو في هذه اللجنة وكذلك لقواد القوات البريطانية أو ممثلهم حق فحص الأعمال في جميع أدوار إنشائها كما يجوز لممثلي المملكة المتحدة من أعضاء اللجنة تقديم مقترحات بشأن طريقة تنفيذ العمل . ولهم أيضاً حق اقتراح تعديل التصميمات والمواصفات أو تغييرها في أي وقت أثناء سير العمل ، وتنفذ المقترحات والمشروعات التي يقدمها ممثلو المملكة المتحدة في اللجنة بشرط أن تكون معقولة وأن لا تتجاوز مدى التزامات الحكومة المصرية الواردة في الفقرة الرابعة . وفيما يتعلق بالآلات وغيرها من المهمات حيث تكون لوحدة الطراز أهميتها قد اتفق على أن تكون المهمات التي تشترى وتركب من الطراز المقرر والمستعمل عامة في الجيش البريطاني

ومن المفهوم طبعاً أنه يجوز لحكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة أن تقوم على نفقتها الخاصة بعد استعمال القوات البريطانية هذه الثكنات والمساكن بادخال التحسينات والتغييرات وإنشاء مبان جديدة في المنطقة المحددة في الفقرة الثانية السالف ذكرها

٦ — تحقيقاً لبرنامج الحكومة المصرية في تحسين الطرق ومواصلات السكك الحديدية في القطر المصري ولابلاغ وسائل المواصلات فيها إلى مستوى حاجات الفنون الحربية الحديثة — تتولى الحكومة المصرية إنشاء الطرق والكباري والسكك الحديدية المبينة بعد وصيانتها

١ — الطرق

١ — بين الاسماعيلية والاسكندرية عن طريق التل الكبير والزقازيق وزفتى وطنطا وكفر الزيات ودمنهور

٢ — بين الاسماعيلية والقاهرة عن طريق التل الكبير ومنه يستمر على ترعة المياه الحلوة إلى هليوبوليس

٣ — بين بورسعيد والاسماعيلية فالسويس

٤ — مواصلة بين الطرف الجنوبي للبحيرة المرة الكبرى والطريق الممتد من القاهرة إلى السويس على مسافة خمسة عشر ميلا تقريباً غربي السويس

ولابلاغ هذه الطرق إلى المستوى العام للطرق الجيدة الصالحة لحركة المرور العامة سيكون عرضها عشرين قدما ويكون لها تحويلات حول القرى ألخ وتنشأ من مواد من شأنها أن تجعلها صالحة دائماً للانتفاع بها في الأغراض الحربية ، وأن تنشأ بحسب ترتيب أهميتها سالف الذكر ، وأن تطابق المواصفات الفنية المبينة بعد وهي المواصفات العادية للطرق الجيدة الصالحة لحركة المرور العام

وتكون الكباري والطرق صالحة لتحمل صفين كاملين من سيارات النقل الميكانيكي الثقيلة ذات الأربع عجلات أو من

ذوات الست عجلات أو من الدبابات المتوسطة الحجم . ففيما يتعلق بالسيارات ذات العجلات الأربع يكون البعد بين الدنجل الأمامى لأية سيارة وبين الدنجل الخلفى للسيارة التى أمامها عشرين قدماً ويكون الثقل على كل دنجل خلفى أربعة عشر طنا وعلى كل دنجل أمامى ستة أطنان ، وتكون المسافة بين الدنجلين ثمانى عشرة قدماً . وفيما يتعلق بالسيارات ذات العجلات الست تكون المسافة بين الدنجل الأمامى لكل سيارة منها وبين الدنجل الخلفى للسيارة التى أمامها عشرين قدماً ، والمسافة بين الدنجل الخلفى والدنجل الأوسط أربع أقدام ، وبين الدنجل الأوسط والدنجل الأمامى ثلاث عشرة قدماً ، ويكون الثقل على كل من الدنجلين الخلفى والأوسط ٨,١ طنا وعلى كل دنجل أمامى أربعة أطنان . أما الدبابات فتقدر باعتبار أن وزنها ١٩,٢٥ طنا وطولها الكلى خمسا وعشرين قدما والبعد بين مقدم إحداها ومؤخر التالية لها رأسا ثلاثة أقدام ، ويكون ثقل الـ ١٩,٢٥ طنا محملاً على شريطين يرتكزان على مسطح قدره ثلاث عشرة قدما من الطريق أو الكوبرى

السكك الحـــــديدية

١ — تزاد تسهيلات السكك الحديدية فى منطقة القنال وتحسن لسد حاجة القوات بعد زيادتها فى تلك المنطقة ولتسهيل سرعة نقل الرجال والمدافع والمجلات والمهات بالقطارات وفقا لما تقتضيه حاجة الجيوش الحديثة

ويرخص بموجب هذا لحكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة بأن تنشىء على نفقتها الخاصة ما قد تقتضيه حاجات القوات البريطانية فى المستقبل من الاضافات والتعديلات على السكك الحديدية . فاذا مست هذه الاضافات أو التعديلات الخطوط الحديدية المستعملة للنقل العام وجب الحصول على اذن بذلك من الحكومة المصرية

٢ — يجعل الخط بين الزقازيق وطنطا مزدوجاً

٣ — يحسن الخط بين الأسكندرية ومرسى مطروح ويجعل دائماً

٧ — فضلاً عن الطرق المبينة فى الفقرة السادسة ١ السالف ذكرها وللأغراض ذاتها ستنشىء الحكومة المصرية الطرق المبينة بعد وتقوم بصيانتها

١ — الطريق من القاهرة بمحاذاة النيل جنوباً إلى قنا وقوص

٢ — من قوص إلى القصير

٣ — من قنا إلى الغردقة

وستنشأ هذه الطرق والكبارى التى تقام عليها وفق نفس المستوى المبين فى الفقرة السادسة السالف ذكرها

وقد لا يتيسر إنشاء الطرق المشار اليها فى هذه الفقرة والطرق المشار اليها فى الفقرة السادسة فى وقت واحد ولكنها ستنجز بقدر المستطاع

٨ — وحينما تتم الأماكن المشار إليها فى الفقرة الرابعة على ما يرضى الطرفين المتعاقدين (ولا تدخل فى ذلك المساكن الخاصة بالقوات التى ستبقى موقتاً بالاسكندرية طبقا للفقرة الثامنة عشرة الآتى ذكرها) وتتم الأعمال المشار إليها فى الفقرة السادسة السالف ذكرها (عدا السكك الحديدية المبينة فى الشطرين ٢ و٣ من الجزء ب من تلك الفقرة) تنسحب القوات البريطانية الموجودة فى أنحاء القطر المصرى غير الجهات الواقعة فى منطقة القنال والمبينة فى الفقرة الثانية السالف ذكرها مع استثناء القوات الباقية مؤقتاً بالاسكندرية ، وتخلى الأراضى والثكنات ومنازل الطائرات البرية ومراسى الطائرات البحرية والأبنية التى تشغلها القوات وتسلم إلى الحكومة المصرية إلا ما قد يكون منها ملكا للأفراد

٩ — أى خلاف فى الرأى بين الحكومتين فى تنفيذ الفقرات ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ السالف ذكرها يعرض للفصل فيه على لجنة تحكيم مؤلفة من ثلاثة أعضاء تعين كل من الحكومتين عضواً منهم ويعين الثالث بالاتفاق بين الحكومتين ويكون قرار اللجنة نهائياً

١٠ — تحقيقاً لحسن تدريب الجنود البريطانية قد اتفق على إعداد المناطق المحددة بعد لتدريبها . ويجرى التدريب فى المنطقتين ا و ب طول السنة . وتكون المنطقة حـ للمناورات السنوية خلال شهرى فبراير ومارس

ا — غربى القنال من القنطرة شمالاً إلى خط سكة حديد السويس القاهرة جنوباً (بما فى ذلك الخط المذكور) وإلى خط طول ٣٠ر٣١ شرقاً بحيث تستمد كل الأراضى المنزرعة

ب — شرقى القنال . حسب الحاجة

حـ — امتداد المنطقة (١) جنوباً إلى خط العرض الشمالى ٥٢ر٢٩ ومن ثم فى الجنوب الشرقى إلى ملتقى خط العرض الشمالى

٣٠ر٢٩ بخط الطول الشرقى ٤٤ر٣١ ومن هذه المنطقة شرقاً على امتداد خط العرض الشمالى ٣٠ ر ٢٩ ومساحات المناطق المشار إليها فيما سبق مبينة على الخريطة الملحقة بالمعاهدة « مقاييس رسم ١ — ٥٠٠ر٠٠٠ر١ »

١١ — تمنع الحكومة المصرية الطيران فوق الأراضى الواقعة على جانبى قنال السويس وعلى مسافة عشرين كيلو مترا منها إلا ما كان بقصد العبور من الشرق الى الغرب أو بالعكس فى ممر عرضه عشرة كيلو مترات عند القنطرة مالم تتفق الحكومتان على غير ذلك . على أن هـذا المنع لا يسرى على قوات الطرفين المتعاقدين ولا على هيئات الطيران المصرية الصميمة ولا على هيئات الطيران التى تتبع تبعية حقيقية أى جزء من أجزاء مجموعة الأمم التى تتكون منها الدولة البريطانية وتعمل تحت سلطة الحكومة المصرية

١٢ — تضم الحكومة المصرية عنـد الضرورة وسائل المواصلات المعقولة للوصول من وإلى الجهات التى ترابط فيها القوات البريطانية كما أنها تقدم ببور سعيد والسويس التسهيلات الضرورية لتفريغ المهمات الحربية والمؤن اللازمة للقوات البريطانيـة وخزنها ، ومن هذه التسهيلات إبقاء فصيلة صغيرة بريطانية فى هاتين المينائين لتسلم وحراسة هذه المهمات والمؤن عند مرورها

١٣ — نظراً لأن سرعة الطيران الحديث وسعة مداه تقتضيان استخدام مساحات واسعة لحسن تدريب القوات الجوية فان الحكومة المصرية تأذن للقوات الجوية البريطانية فى الطيران حيثما ترى ضرورة لذلك من أجل التدريب . ويكون لقوات الطيران المصرية مثل هذه المعاملة فى الأراضى البريطانية

١٤ — نظراً لأن سلامة الطيران تتوقف على اعداد كثير من الأماكن لنزول الطائرات فان الحكومة المصرية ستهيئ وتيسر على الدوام المنازل والمراسى الصالحة لنزول الطائرات البرية والبحرية فى الأراضى والميـاه المصرية . وستحقق الحكومة المصرية أى طلب يقـدم من القوات البريطانية لاعداد المنازل والمراسى الاضافيـة التى تدل التجربة على ضرورتها لجعل العدد كافياً لحاجة المحالفة

١٥ — تأذن الحكومة المصرية للقوات الجوية البريطانية فى استخدام منازل الطائرات البرية ومراسى الطائرات البحرية السالفة الذكر وفى إرسال مقادير من الوقود والمهمات الى القوة منها لخزنها فى مكان تقام عليها لهذا الغرض وفى القيام فى أحوال الاستعجال بأى عمل قد تقتضيه سلامة الطائرات

١٦ — تمنح الحكومة المصرية جميع التسهيلات اللازمة لمرور مستخدمى القوات البريطانية والطائرات والمهمات من والى منازل الطائرات البرية ومراسى الطائرات البحرية السالفة الذكر وتمنح مثل هذه التسهيلات لموظفى القوات المصرية وطائراتها ومهماتها فى القواعد الجوية للقوات البريطانية

١٧ — تكون للسلطات الحربية البريطانية حرية استئذان الحكومة المصرية فى إرسال جماعات من الضباط يرتدون الملابس الملكية الى الصحراء الغربيـة لدراسة الأرض ورسم الخطط الحربية ولا يرفض هذا الاذن دون مبرر معقول

١٨ — يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة الملك والأمبراطور فى إبقاء وحدات من قواته فى الأسكندرية أو على مقربة منها لمدة لا تتجاوز ثمانى سنوات من تاريخ نفاذ هذه المعاهدة وهى المدة التقريبية التى اعتبرها الطرفان ضرورية لما يأتى :

ا — لاتمام بناء الثكنات فى منطقة القنال نهائياً

ب — لتحسين الطرق الآتية :

١ — الطريق بين القاهرة والسويس

٢ — بين القاهرة والاسكندرية عن طريق الجيزة والصحراء

٣ — بين الأسكندرية ومرسى مطروح ، وذلك للوصول بها إلى المستوى المبين فى جزء ا من الفقرة السادسة

حـ — تحسين السكك الحديدية بين الاسماعيلية والاسكندرية وبين الاسكندرية ومرسى مطروح كما أشير إلى ذلك فى الشطرين ٢ و ٣ من الجزء ب من الفقرة السادسة

وتتم الحكومة المصرية العمل المبين فى الشطرات ا و ب و حـ السالفة الذكر قبل انقضاء مدة الثمانى السنوات المذكورة آنفاً ، وستتولى الحكومة المصرية طبعاً صيانة الطرق ووسائل المواصلات المذكورة فيما تقدم

١٩ — تظل القوات البريطانية الموجودة بالقاهرة أو بجوارها إلى وقت انسحابها طبقاً لنص الفقرة الثامنة السالف ذكرها كما تظل القوات البريطانية الموجودة بالاسكندرية أو بجوارها إلى نهـاية الوقت المحدد فى الفقرة الثامنة عشرة السالف ذكرها متمتعة بالتسهيلات التى لها الآن

فى العدد القادم « تتمة الملحقات »

الفلسفة والالهيات *

اتفقت كلمة الشعوب الاسلامية على أن العصر الذهبي للخلافة قد ازدهرت فيه مذاهب فى الفلسفة ، كانت عربية إسلامية ذاعت فى العالم ذيوعا واسع المدى ، وأن المعاهد الاسلامية قد مهدت لظهور الجامعات الأوربية ، وكانت المثال الذى به تقتدى وعلى هداه تسير

وهذه النظرة المنطوية على اعتبار الاسلام مصدر الحضارة الأوربية ، نشأت فى رحابه ، ودرجت فى ظلاله ، واستقت من معينه ، لا نراها منبثة فى الكتب الأدبية التى أريد بها مجرد الدعاية فحسب ، بل نراها شائعة — بحق أو غير حق — فى أكثر البحوث القيمة التى ساهم فيها العلماء من المسلمين المحدثين وتناولت تقدم الأنظمة الاسلامية وتاريخها فى العصر الوسيط

وإنا لنرى فى الأدب الغربى بين الحين والحين إشارة إلى ما يطلقون عليه اسم « الفلسفة العربية » ، كما نرى طائفة من كتاب الغرب تذهب إلى أن الفلسفة المسماة بهذا الاسم ليست إلا خليطا من آراء القدماء لا تجانس بين مواده المتنوعة ، قد ترك ليتفاعل وينضج ، فهم منتهون إلى أن ليس هناك شىء اسمه « فلسفة عربية » وإلى أن الشعوب الناطقة بالضاد لم تفعل شيئا أكثر من أنها استولت على الفلسفة اليونانية التى كانت شائعة بين المسيحيين من أهل سوريا ، والمثقفين من أهل حران الوثنيين ، ثم أضافت إليها بعض عناصر استمدتها من فارس والهند (١)

ومهما يكن من شىء فان من الحق أن نرد الفلسفة العربية فى مادتها وصورتها وغايتها إلى حضارة البلاد التى غزاها العرب ، وأن نعتبر الفلسفة اليونانية المعين الذى استقوا منه مذاهبهم

ومهما قيل عن هذا الأمر فى العصور الحديثة فان العلماء المسلمين فى العصور المتقدمة لم يخطئوا السبيل إلى فهم هذه الحقيقة . فالجاحظ البصرى المتوفى سنة تسع وستين وثمانمائة بعد الميلاد — وهو كاتب قدير متبحر كان تأثيره فى أسبانيا الاسلامية على جانب عظيم من الأهمية — يعترف اعترافاً واضحاً بفضل الفكر اليونانى على أهل ملته فيقول : ألم تبلغنا كتب القدماء التى خلدوا فيها حكمتهم الرائعة ، وعالجوا بين صفحاتها دروس التاريخ المتشعبة ، حتى بدا الماضى حيا أمام أبصارنا ؟ ألم تصل إلى أيدينا نفائس تجاربهم التى ما كنا بغير هذه الكتب لنعرفها أو لنصيب فى الحكمة حظاً يذكر ، أو نسلك للتحصيل سبلاً معقولة ؟

وفوق ذلك فان الفلاسفة وعلماء الكلام لم يحاولوا فى أكثر أبحاثهم أن يخفوا عن الناس النبع الذى نهلوا منه (١)

(*) هذا المقال هو بداية فصل الفلسفة والالهيات فى كتاب تراث الاسلام الذى ستصدره لجنة الجامعيين فى هذا الشهر — وقد تولى كتابة الفصل « الفريد جيوم » وقام بتعريبه والتعليق عليه « توفيق الطويل »

(١) على أن من الانصاف أن نقول إن بين مؤرخى الفلسفة فى الغرب طائفة أخرى لا يرضيها هذا الحكم ، إذ انعقد رأيها على أن للفلسفة الاسلامية كياناً خاصاً يميزها من مذاهب أرسطو ومفسريها ، بل من الآراء الهندية والفارسية ، لأن فيها ثمرات من عبقرية أهلها — وإذا كان قد وجد من يقول كأرنست رينان فى كتاب ابن رشد ومذهبه : « ومن عجائب القدر أن هذا الجنس — السامى — الذى استطاع أن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع القوة فى أسمى درجاتها لم يثمر أدنى بحث فلسفى خاص ، وما كانت الفلسفة قط عند الساميين إلا اقتباساً صرفاً جدياً وتقليداً للفلسفة اليونانية » أو شمولدر القائل فى رسالة له فى المذاهب الفلسفية عند العرب : « لا نستطيع أن نذكر قط فلسفة عربية على الوجه الدقيق لما ==

== يفهم من هذه العبارة كما نذكر فلسفة يونانية أو ألمانية ... ومهما ذكرنا هذه العبارة فاننا لا نريد شيئا غير الفلسفة اليونانية كما فهمها العرب » إذا كان قد وجد من يذهب إلى هذا فقد وجد المنصفون من مؤرخى الفلسفة الاسلامية فى الغرب أمثال جوستاف دوجا القائل فى كتابه : (تاريخ الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين) : « وما أسوق إلا شاهداً واحداً : فهل يظن ظان أن عقلا كعقل ابن سينا لم ينتج فى الفلسفة شيئاً طريفاً وأنه لم يكن غير مقلد لليونان ؟ وهل مذاهب المعتزلة والأشعرية ليست ثماراً بديعة أنتجها الجنس العربى ؟ » أو ليون جوتييه القائل : « إن الفلاسفة الاسلاميين لم يألوا جهداً فى القيام بواجبهم من هذه الناحية — التوفيق بين الفلسفة والدين — وقد أبدوا فى ممارستهم على ما فيهم من دقة وعناية خصالا منقطعة النظير ، ونفاذاً وبعد نظر ، ورأيهم فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال هو معقد الطرافة فى هذه الفلسفة اليونانية الاسلامية »

قد خفتت صيحة العصبية الدينية والجنسية فى أواخر القرن التاسع عشر حتى إذا أقبل القرن العشرون كاد أن ينعقد الاجماع بين مؤرخى الفلسفة فى الغرب على أن الفلسفة الاسلامية قد كملت نقص أرسطو بتوضيح نظرية الامكان على نحو ما أبانها هورتن الألمانى

استعنت فى هذا التعليق بمحاضرات أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق لطلبة الفلسفة بالجامعة المصرية فى السنة الدراسية ١٩٣٢ — ١٩٣٣ : وهى لم تطبع بعد (المعرب)

(١) ومن المؤلفين الاسلاميين الذين يذهبون إلى هذا الرأى الشهرستانى الذى يقول فى الملل والنحل : « قد سلكوا — أى الفلاسفة الاسلاميون — طريقة أرسطاطاليس فى جميع ما ذهب إليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى أفلاطون والمتقدمين عليه » — ويقول ابن خلدون فى ==

وما كان التعلل بالعلم ليخدع المسرفين فى التعصب للقرآن وسنة النبى . فكانت الأبحاث العقلية المجهولة للعرب فى عصر الرسول تلقى استنكاراً شديداً كما كان الذين يدخلون فى الاسلام بدعة يستمدونها من مصدر أجنبى معرضين لهذا النوع من الاستنكار، وكانوا يقولون إن الفلسفة « حكمة مشوبة بالكفر » — وإذا استعرضت أسماء المؤلفات ككتاب : عرض مخازى الاغريق ومنهل للحكم الدينية — وكتاب البرهان الحسى على تفنيد الفلسفة فى القرآن [1] عرفت ما تتضمنه الكتب مما يؤيد ما نقول — وثمة حكاية متداولة عن فيلسوف معروف عدل عن آرائه وهو على فراش الموت ، وكانت آخر عبارة قالها : صدق الله العظيم وكذب ابن سينا

ومن الحق كذلك أن نذهب إلى القول بأن ما أضافه العرب من الثقافة الانسانية إلى تراث من سبقهم من المفكرين لم يكن كبير الشأن ملموس الأثر . وبالرغم من هذا ، ومع أننا على يقين من أن ما خلفته الحضارة الاسلامية لا خطر له ، أوليس أكثر مما ورثته عن غيرها من الحضارات ، فليس من العدل فى شىء أن ننكر عليها توصلها إلى الجمع بين الأفكار الفلسفية على نمط مميز لها ، تلك الأفكار التى عزاها علماء المسلمين إلى أنفسهم

وإنه لمن الظلم البين أن نحقر من شأن الشغف فى طلب العلم من أجل العلم ، ذلك الحماس الذى كان يتقد فى صدور جموع غفيرة من الناس فى رحاب الدولة الاسلامية المترامية الأطراف

وفى الحق أن لعبارة « الفلسفة العربية » معنى معيناً عند المستشرقين [1] ، فهم يعرفون أن بين العرب الخلص الدم واحداً فذا هو « الكندى » قد امتاز بطول باعه فى المسائل الفلسفية ، ولكنهم يعرفون — إلى جانب هذا — أن ذلك الخليط الغريب الذى يغلب عليه التنافر — والذى ائتلف من الأرسطاطالية والأفلاطونية الحديثة ، وسلم به أكبر الفلاسفة المسلمين كتفسير معقول للكون — يعتبر عربياً قبل كل شىء وإن لم يكن إسلامياً ، لأن أكبر زعمائه كثيراً ما كانوا مسلمين بالاسم أو زنادقة جهروا بذلك جهراً أدى إلى ضياع حياتهم أو فقدان حرياتهم

ولو أن العرب كانوا برابرة كالمغول الذين أطفأوا جذوة العلم فى الشرق إطفاء لم ينبعث من بعدهم ألبتة — وقد لا ينبعث أبداً بسبب ضياع دور الكتب وفقدان الآثار الأدبية — لو أنهم كانوا كذلك ، لتأخر عصر الأحياء عن موعده فى أوربا أكثر من قرن

وليس من شك فى أن حياة طالب العلم قبل عهد الطباعة كانت تفيض دائماً بالضجر واليأس ، وكان مألوفاً عند الكثيرين من طلاب العلم أن يقوموا فى طلبه برحلة يقطعون فيها ألف ميل أو يزيد فى سبيل البحث عن معلم يتلقنون عنه العلم . ولبثوا يقاسون هذه المشقة حتى العصر الذى قامت فيه الجامعات الاسلامية — بل إلى ما بعد هذا العصر — وقد قام الشبان برحلات طويلة من الأندلس إلى مكة أو من مراكش إلى بغداد ، تاركين دورهم وهم خالو الوفاض أملاً فى التتلمذ لأستاذ يصادف اختيارهم

***

ولعل فى وسعنا الآن أن نقول كلمة فى نشأة الجامعات الاسلامية : فأولاها هى المدرسة النظامية المعروفة ببغداد ، وقد قام بتأسيسها نظام الملك صديق عمر الخيام ووزير السلطان السلجوقى « ألب أرسلان » سنة سبع وخمسين وأربعمائة للهجرة ، أى فى العام السابق للفتح النورماندى لانجلترا [2] . ثم قامت

= مقدمته : « ثم كان من بعده — أى أرسطو — فى الاسلام من أخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل إلا فى القليل النادر » — ومن الفلاسفة المتصوفة الذين ذهبوا إلى هذا الرأى ابن سبعين فى تصويره لابن رشد والفارابى وابن سينا والغزالى (أنظر كتاب الأستاذ ماسينيون : مجموع نصوص لم تنشر متعلقة بتاريخ التصوف فى بلاد الاسلام . على أن من الانصاف أن نقول إن بين الفلاسفة الإسلاميين فلاسفة على الحقيقة كانت وجهتهم أن يشيدوا هيكلاً فلسفياً يقوم على قواعد مما محصه النقد وترفع أركانه بما عملته أيديهم وما كسبوه من غير اليونانيين ، وقد أبان عن هذا ابن سينا فى مقدمته لكتاب « منطق المشرقيين » طبع المطبعة السلفية . استعنت فى هذا التعليق بالمحاضرات التى أسلفت الاشارة إليها فى التعليق السابق (المعرب)

(١) ترجمت العنوانين بعد أن حاولت الاهتداء إلى نصهما فى العربية فلم أوفق . وقد اتصلت بالأستاذ « جيوم » — مؤلف هذا الفصل — فى انجلترا لعله يهدينى إلى معرفة النص الصحيح . فقال فى رسالته إلى : إنه كان يكتب للقارىء الغربى الذى يجهل العربيـة ، ولو أنه كان يكتب للمستشرقين أو الناطقين بالضاد لاهتم بذكر جميع أسماء المصادر والكتب التى أشار إليها فى بحثه (المعرب)

(١) كما أن لها عند غيرهم معنى معيناً : قارن Keicher's monograph Ravmundus Lullus und Seine Stellung zur arabischen Philosophie

(٢) جاء فى الجزء الثانى من ضحى الإسلام للأستاذ الجليل أحمد أمين أن الذهبى قد ذهب إلى أن نظام الملك كان أول من أنشأ المدارس : فبنى مدرسة ببغداد ، ومدرسة ببلخ ، ومدرسة بنيسابور ، ومدرسة بهراة ، ومدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ، ومدرسة بمرو ، ومدرسة بآمل =

بعد ذلك بقليل جامعات أخرى فى نيسابور ودمشق وبيت المقدس والقاهرة (1) والاسكندرية وغيرها من البـلدان ، وكثيراً ما قامت فى مدن اشتهرت بالعـلم قبل قيام الاسلام كما سيأتى ذكر ذلك بعد

= طبرستان ، ومدرسة بالموصل ؟ حتى قيل إن له فى كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة ، ولـكن بعض المؤرخين كالسبكى والسيوطى قد ردوا عليه هذا الرأى وقالوا إن المدرسة البيهقية بنيسابور قد أنشئت قبل أن يولد نظام الملك ، وأن المدرسـة السعيدية بنيسابور قد بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود

وقد قرأت فى المقريزى (فى الجزء الرابع من خططه طبعة عادية) : « والمدارس مما حدث فى الإسلام ، ولم تـكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة ، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة فى الاسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية ، وبنى بها أيضاً الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بهـا أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة ، وبنى بها أيضاً المدرسة السعيدية ، وبنى بها أيضاً مدرسة رابعة . وأشهر ما بنى فى القديم المدرسة النظامية ببغداد لأنها أول مدرسة قرر بها للفقهاء معاليم ، وهى منسوبة إلى الوزير نظام الملك ... وشرع فى بنائها فى سـنة سبع وخمسين وأربعمائة وفرغت فى ذى القعدة سـنة تسع وخمسين وأربعمائة ، ودرس فيها الشيخ أبو إسحاق الشيرازى الفيروزبادى صاحب كتاب التنبيه فى الفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ورحمه ، فاقتدى الناس به من حينئذ فى بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفى بلاد الجزيرة وديار بكر »

(1) الذى أعرفه أن الأزهر قد أنشأه جوهر الـكاتب الصقلى بعـد عام من فتح الفاطميين لمصر ، إذ تم بناء القاهرة فى رمضان سنة ٣٦١ هـ وفتح الجامع الأزهر للصلاة فى الشهر نفسه من العام ذاته (وهو يوافق يونية — يولية سنة ٩٨٢ م) وسرعان ما نشأت صفته الجامعية فى ظروف عرضية ولم تلبث أن استقرت بعد ذلك وتأثلت ، وقد لاحظ الأسـتاذ محمد عبد الله عنان أن الوزير العلامة ابن كلس — الذى كان أيام العزيز بالله — كان له أثر كبير فى إسباغ هذه الصفة العلمية على الأزهر ، وذكر من بين الأساتذة الذين كانوا فى مقدمة من تولى التدريس والإقراء بالأزهر منذ إنشائه بنى النعمان قضاة مصر ، وكان القاضى أبو الحسن على بن النعمان أول من درس بالأزهر ، وقد عقد أول حلقاته فى صفر سنة ٣٦٥ وقرأ فيها مختصر أبيه فى فقه آل البيت . وجاء فى كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر أن أول من أقام الدرس بمعلوم هو العزيز بالله ابن المعز ، وأن فى سنة ٣٧٨ سأل الوزير أبو الفرج يعقوب الخليفة العزيز بالله أبا منصور نزار فى صلة رزق لجماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم ، وبنى لهم مسكناً إلى جوار المسجد وأدام الوزير من ماله بصلات فى كل عام ، وكان عدتهم خمسة وثلاثين فقيهاً ، وأن فى سنة ٣٨٠ رتب المتصدرون لقراءة العلم بالأزهر . ولـكن الأستاذ جيوم ينص على أن الجامعات قد نشأت فى القاهرة بعد المدرسة النظامية التى نشأت سنة ٤٥٧ أى قبل الفتح النورمندى (١٠٦٦ موقعة هستنجس Hastings) بعام واحد — على أن ما أسـلفت ذكره يبرر القول بأن القاهرة قد عرفت الجامعات فى الأزهر قبل نشأة المدرسـة النظامية بما يقرب من قرن من الزمان

من (الكتاب الذهبى) قبل أن يطبع

لغة الأحكام والمرافعات

تتمـة

للأستاذ زكى عريبى

— ٦ —

أنشئت المحاكم الأهلية سنة ١٨٨٣ فلم يَزُل عهد الركاكة دفعة واحدة . صحيح أنك لم تعـد تطالع « هذا المرأة » و « تلك الرجل » و « هؤلاء الشخص » و « منه ينفهم » و « لذا وكون ماذكر » و « من حيث ليس » و « ما تورى » و « سبوق المخاطبة » و « تحت الأهمية » و « كون من سابقة التحقيق » و « كون من ذا يتضح » و « كان جارى المشاجرة » ، لم تعد تطالع هذا وأمثاله ، ولـكنك تقع على لغة ما زالت سقيمة معتلة كلغة هذا الحكم الصادر من محكمة الجنايات الاستئنافية سـنة ١٨٨٧ ، قال يروى وقائع الجريمة :

« وكان عند القتيل قبلاً واصف أغا متبنيه وجاعلاً له نصيب فى بعض ملـكه ، ثم كرهه وطرده واستبعده من المنزل قبل الواقعة بشهر وكان فيروز أغا مدخراً فى منزله أمتعة ذات قيمة ، فواصف وعبد الله وخديجة المذكورة عملوا على قتـله باتفاق بينهم ، وفى الليلة المعهودة توجه واصف أغا إلى المنزل وكان فيروز أغا خارجاً عنه وكمن فى السطح بواسطة خديجة حتى حضر فيروز أغا وكانت خديجة فى صالة معتاد نومها فيها وعبد الله معد له محل بالحوش وفى آخر الليل اجتمع الثلاثة على بعضهم ودخـلوا على فيروز أغا وأعدموه الحياة »

إلى أن قال يورد الأدلة على سبق الاصرار ويشير إلى النصوص :

« ومنها اعترافه (أى القاتل) أن خديجة كانت تشترى له ملابس وتناوله نقود من مصروف الأغا على أمل الأغا سيزوجها وهذا يفيد سبوق سعيه فى إعدام الأغا

وحيث أن هذه الأدلة قد أثبتت على عبد الله السودانى التعمد وسبق الاصرار والتربص على قتل فيروز أغا بالأسباب المذكورة

صار عبـد الله يستحق العقاب بالقتل عملاً بالمادة ٢٠٨

وحيث أن من يحـكم عليه بالاعدام يشنق

وحيث أن باقي المتهمين مثبوت اشـتراكهم في السرقة باعتراف اثنتيهم »

وهاك ما يقوله حكم مدني ابتدائي صدر في السنة عينها (صحيفة ٢٥٠ حقوق) يردد ما جاء في صحيفة الدعوى

« وحيث أن حالة المرض الذي اعترى المدعى لا يمكن شفاه قطعياً ، وأن بعينه اليمنى غطاطه وأن علته من الجسيمة ولا يمكن أن يؤدي أشغاله بالبرى ، ولما كان قضى حياته في خدمة الحـكومة وأفقد بصره في أثناء تأدية خدماته كان من باب العدالة أن يربط له معاش »

على أن المحكمة لم تـكن أفصح عبارة فيما رأته من « أن المدعى يمكن معالجته واستحصاله بعدها على كمية من النظر »

بل انظر ماذا تقوله محكمة الاستئناف « في الأودة المدنيـة والتجارية » :

« من حيث أن الأعمال المدعى باجراها سلامة بك (المدعى) في المدة المذكورة هذه ليست أعمال مستجدة صار تـكليفه بها بل إنها استعلامات واستفهامات ويجب عليـه في كل الأحوال استبقا تلك المأمورية في يوم اخلاه منها

« وأن سلامة بك أجرى مناظرة المهمات المذكورة

« ولهذا توضح للبيك الموما اليه بتلك الافادة بأنه يعلم مسألة تلك الرسوم وأنه يلزم إعطا أفكاره فيما تطلبه مصاحة السكة الحديد وهذا لا يعد عمل جديد

« وحيث أنه لما علم للحربية بناء على طلب سلامه بك قررت اللجنة بتعيين واحد كاتب بماهية شهرى ١٢٠٠ قرش

وحيث بناء على هذه الأسباب يتعين لغو الحـكم الابتدائي »

وفي السنة عينها نشرت مجلة الحقوق بحثاً في « الاقتصاد المدني » ؛ ولـكن بوادر لغة سليمة بدأت تظهر وسط هذا الضعف كتلك التي يشرح بها هذا الحـكم الصادر من إحدى المحاكم الابتدائية عدم قابلية بعض الالتزامات للانقسام

« فلنبحث الآن عن ماهية التعهد غير القابل للانقسام فنجد أنهم عرفوه بقولهم هو ما كان موضوعه شيئاً أو عملاً لا يمكن الوفاء به مقسما وقت تـكوين العقد . وقد قسم العلامة ديمولان الشهير التعهـدات غير القابلة للانقسام إلى ثلاثة أنواع : النوع الأول عدم الانقسام الناشيء عن العقد وهو المعبر عنـه بعدم الانقسام الطبيعي أو المطلق أو الضروري . . .

فيظهر جلياً أن عدم الانقسام هذا هو اضطراري وخارج عن ارادة المتعاقدين لأنه ليس في وسـعهم وقدرتهم تغيير ماهية وطبيعة الأشياء »

***

ثم طفرت لغة المحاكم طفرة سعيدة وظهر التحسن واضحاً ملموساً في العشر السنوات التالية على يد فحول غذى بهم القضاء الأهلي بعد سنة ١٨٩٠ . أنظر إلى هذه الدائرة بمحكمة الاستئناف كيف أصبحت تكتب برياسة حامد محمود وعضوية قاسم أمين ودوهلتس (حقوق سنة ١٨٩٦)

« وحيث أن القاضي بتخطيه هذه الحدود (أي حين يتخطى القيود الموضوعة في قانون تشكيل المحـكمة) صار عديم الصفة في الفصل وأصبح كأنه في بلد أجنبي . ومتى انعدمت صفة المحـكمة في الفصل لا تكون أحكامها أحكاماً ولا قضاتها قضاة ، وإنما يكونون كأفراد فصلوا فيما رفع إليهم وصاغوا فصلهم في قالب الأحكام . وإن كان ذلك في استطاعتهم فليس في وسعهم أن يمنحوها من عندياتهم ما حرمه الشارع من القوة »

وما أجمل هذا الايجاز في بيان موضوع النزاع المطروح على دائرة أخرى (دائرة أحمد عفيفي وسعد زغلول وكوربت) :

« حيث أن نقطة النزاع في هذه الدعوى هي من هو ملزم بدفع مبلغ المائة وثمانين جنيهاً إلى الخواجه سكوبو ، هل تكون الست نفيسة ملزمة أو الشيخ أحمد الحـكيم أو الاثنان معاً ؟ وفي الحالة الأخيرة : هل تلك الملزومية بالتضامن أم لا ؟ »

***

ومضى الرقي في طريقه بعد ذلك غير وان ولا متردد ، فساير سمو الأسلوب نضوج الفكر ، واكتشفت أو نحتت ألفاظ عربية كثيرة لتؤدي معاني فقهية حديثة ، وغمر سيل هذه النهضة المباركة دور المحاكم كلها لا فرق بين جزئية وابتدائية واستئنافية . ثم جاءت محكمة النقض في العهد الأخير فطبعت لغة الأحكام بطابع جليل ممتاز جمع إلى دقة الأداء رشاقة اللفظ وجمال الأسلوب

لسنا نبالغ ولا نلقى القول بغير دليل . « وعلى من مارى — كما يقول رئيس محكمة النقض الجليل فى خطبته الخالدة — أن يقرأ فانه لا رأى لغير مطلع عليم »

وإن المطلع العليم ليحار أى زهر يقتطف وسط هذه الجنة الفيحاء . لقد طغى تيار الاجادة فاكتسح بقايا العجمة وضآلة التعبير وأصبحنا حتى فى القضايا البسيطة أمام أحكام حبك نسجها وأشرقت ديباجتها . اقرأ هذا الحكم لقاض جزئى فاضل (اسكندر حنا) يقرر فيه القواعد التى يجب على سائقى السيارات مراعاتها إذا ما اقتربوا من تقاطع شارعين ، ويتحدث عن ماهية هذه القواعد قانوناً :

« وحيث أن المدعى المدنى يقول إنه كان سائراً فى شارع رئيسى ومن حقه أن يأمن السير فيه ولا يعكر عليه أمنه السيارات الخارجة من الشوارع المتقاطعة فواجبها ألا تخرج إلى الشارع الرئيسى إلا بعد الاستيثاق من خلوه

وحيث أنه ليس فى اللوائح أو الأوامر الادارية تقسيم الشوارع بين رئيسية وفرعية وما هى إلا قواعد أوحى بها العقل ، فتواضع الناس على العمل بها اتباعاً لما تقضى به مصالحهم وما يستوجبه ضمان أرواحهم أثناء سيرهم فى الطرق العمومية وتنظيمها لمرورهم ... والواجب يقضى على من يقود سيارة فى شارع متقاطع مع شارع رئيسى أن يتحقق قبل محاولة اجتيازه من خلوه أو من إمكانه المرور فيه قبل أن تدركه السيارات السائرة فيه ، ولكن ليس معنى ذلك أن السائق الذى يسير فى شارع رئيسى يتهاون فى قيادته إلى حد الخطأ أو الاهمال ، فانه يتعين عليه أن يكون شديد الحذر كلما اقترب من نقطة التقاطع وأن يخفف من سرعة سيارته اجتناباً للمفاجآت التى قد تحصل على غرة »

بيان كامل لما احتواه رأس الكاتب من فهم صحيح لقواعد السير ، خطته يراعة مالكة لناصية الألفاظ تضعها حيث يجب أن توضع فى أسلوب سهل وشيق

واقرأ هذا الحكم للقاضى « حسن جاد » فى قضية رفعها رجل على شريكه فى الجريمة بطلب استرداد ما دفعه إليه ثمناً لاشتراكه ، ووجد القاضى نفسه أمام رأيين فقهيين لكل منهما أنصاره ومخالفوه . أنظر كيف يؤيد الرأى الذى اختاره لنفسه تأييد أديب بارع :

« وحيث أن المدعى عليه دفع بعدم قبول الدعوى قولاً منه بأن استرداد المبالغ على فرض حصول دفعه أمر غير جائز لأن الدفع إنما حصل تنفيذاً لارتكاب جريمة يعاقب عليها القانون

وحيث أن هذه المسألة وإن اشتد الجدل وكثر التحاور واختلفت الآراء وتناقضت الأحكام بشأنها ، إلا أن المحكمة ترى رجحان المذهب القائل بجواز الاسترداد . لا لأنه هو المذهب السائد المتغلب بين الشارحين والمحاكم فقط ، بل لما فيه من مزايا وما فى عكسه من آفات

وتعليل ذلك ظاهر لأن فى اعتماد الدفع إقراراً للمحظور وتشجيعاً للفاجر على فجره . دع أن القانون نفسه لا يرتب أثراً للعقد القائم على سبب غير مشروع ، ولا يمكن أن تفهم هذه القاعدة وتدرك حكمتها إلا إذا محوت أثر التعاقد وعاد ما كان إلى ما كان

ذلك خير من الرأى القائل بأنه لا ينبغى مساعدة أى من طرفى التعاقد لأنه ليس لمن خالف القانون أن يستعين بالقانون ليحميه . ذلك بأن أصحاب هذا الرأى وهذه حجتهم لم يعبأوا بما يترتب على المنع من معاملة القابض على السحت معاملة أخف وأصلح من معاملة القابض على الحلال . بل إن هذه الحجة قد تلتوى على أصحابها فى بعض الأحوال ويكون من نتائجها أن تتفاوت المعاملة بين العاقدين فيحل لأحدهما ما يحرم على الآخر

هذا من الوجهة القانونية . وأدب النفس يقضى بأن ما خرج عن النظام العام يجب إرجاعه اليه ؛ ولما كان تنفيذ العقد الباطل خروجاً عن النظام وجب إلغاء التنفيذ ورد الحالة إلى ما كانت عليه قبله . ومن مصلحة المجموع أن يعلم سلفاً كل مقدم على مباشرة عقد باطل أنه لا يملك تنفيذ العقد بل ولا يملك الاحتفاظ بما تم لمصلحته تنفيذاً للتعاقد »

لغة ممشوقة تحبب إليك لو كنت من قضاة الدرجة الثانية البحث فى الدعوى وتصور لك قاضى الدرجة الأولى رجلاً له قيمته فلا تقبل على هدم حكمه إن أردت الالغاء إلا بحذر واحتراس

وهذا قاض ثالث — مصطفى مرعى — يجيد كتابة الأحكام على حداثة عهده بالقضاء . أنظر كيف انقلب قلم المذكرات الجامح يراعة متزنة هادئة تتخير لكل لفظ موضعه ولا تتزيد فى الأسباب حرفاً . أنظر اليه يطبق قاعدة أن العبرة فى العقود بمعانيها لا بمبانيها :

« وحيث أن الطعن الثانى الذى وجهه المدعى للعقد يتطلب

البحث فيما إذا كان العقد المذكور قداستوفى شروط البيع فيكون ملزماً للبائع أو هو لم يستوف هذه الشروط خلافاً لظاهره فيكون هبة أو وصية يسترها بيع

وحيث أن المحكمة عند إجراء هذا البحث لا تستطيع أن تنظر إلى العقد فى ظاهره دون أن ترجع إلى الظروف التى أحاطت بالمتعاقدين ، لأن العبرة فى وصف العقود بالحقيقة التى قصدها المتعاقدون لا بالصورة التى تدل عليها الألفاظ والنصوص . كما أن المحكمة لا تستطيع أن تنظر إلى العقد المذكور مستقلاً عن الورقة الأخرى التى استصدرها الوالد من ابنه على طول المدة التى تقرب من سنة بين تاريخ العقد وتاريخ الورقة سابقة الذكر لأن تحرير هذه الورقة معناه أن المتعاقدين أرادا أن يكملا بها العقد بحيث يصبح منه جزءاً لا ينفصل ، أو تكون معه كلا لا يقبل التجزئة »

تلك نماذج للغة الأحكام فى يومنا الحاضر أتينا بها على سبيل التمثيل لا الحصر ، فان مجموعات الأحكام زاخرة بثمار قرائح خصبة وأقلام موانية

« وعلى من مارى أن يقرأ فانه لا رأى لغير مطالع عليم »

وحدث ولا حرج عن أحكام محكمة النقض والإبرام فى عهدها الحاضر . ارجع إلى أى حكم تقع عليه يدك من أحكام دائرتها . اقرأ ما شئت بلا تمييز تقرأ أدباً عالياً قد أسبغ على قضاء المحكمة العليا ما كان يجب له من روعة وجلال

لسنا نحاول هنا تحليلاً لهذه الناحية من أدب العصر ، ولكن من ذا يملك أن يمر دون أن يقف وقفة إعجاب وطرب على مثل هذا القول لمحكمة النقض ترسم به حدود حرية النقد :

« وبما أن ما ذهب اليه الحكم المطعون فيه من أن العرف جرى على المساجلة بالعبارات الحماسية والأساليب التخيلية وألفاظ التهويل والمبالغة والتحذير والترهيب لمجرد التأثير على النفس وحملها على التصديق فى الشؤون التى ليس من المستطاع حمل الناظر على تصديقها بالطرق البرهانية الهادئة . هذا الرأى لا تجيزه محكمة النقض والابرام ، بل إنها تصرح بأن فيه خطراً على كرامة الناس وطمأنينتهم وتشجيعاً للبذاءة ودنس الشتائم . والحقيقة ليست بنت التهويل والتشهير والمبالغة والترهيب بل بنت البحث الهادىء والجدل الكريم . وإذا كان لحسن النية مظهر ناطق فانه الأدب فى المناظرة ، والصدق فى المساجلة »

بل انظر إلى لغة هذه العاطفة الجياشة تجاجل بحق الانسان إذا عذبه انسان لا فرق لدى حارسة القانون بين رجل ورجل :

« وبما أن هذه المعاملة التى أثبتت المحكمة أن المجنى عليه كان يعامل الطاعنين بها هى إجرام فى إجرام ، ومن وقائعها ما هو جناية هتك عرض يعاقب عليها القانون بالأشغال الشاقة . وكلها من أشد المخازى إثارة للنفس واهتياجاً لها ودفعاً بها إلى الانتقام . ولو صح أن المأمور كان يطلب نوم الطاعنين بمركز البوليس كما يقول الشاهد الذى اعتمدت المحكمة شهادته ، وكان هذان الطاعنان يتخوفان من تكرار ارتكاب مثل هذه المنكرات فى حقهما كما يقول وكيل أحدهما فى تقرير الأسباب وفى المرافعة الشفهية ، فلا شك أن مثلهما الذى أوذى واهتيج ظلماً وطغياناً والذى ينتظر أن يتجدد إيقاع هذا الأذى الفظيع به — لا شك أنه إذا اتجهت نفسه إلى قتل معذبه فأنها تتجه إلى هذا الجرم موتورة مما كان ، منزعجة واجمة مما سيكون ؛ والنفس الموتورة المنزعجة هى هائجة أبداً لا يدع انزعاجها سبيلاً إلى التبصر والسكون حتى يحكم العقل هادئاً متزناً متروياً فيما تتجه اليه الارادة من الأغراض الاجرامية التى تتخيلها قاطعة لشقائها . ولا شك بناء على هذا أن لا محل للقول بسبق الاصرار ، إذ هذا الظرف يستلزم ألا يكون لدى الجانى من الفرصة ما يسمح له بالتروى والتفكير المطمئن فيما هو مقدم عليه »

نظرة الى الأمام

والآن وقد استدبرنا حياة اللغة القضائية كما كانت ، واستعرضنا بعض الأدلة القائمة على نهضة حالية لا تنكر ، نود لو استطعنا أن نزيح طرفاً من سجف المستقبل فنطل على ما بعده الزمن لهذه اللغة الكريمة العزيزة

كأنى بها وقد راق لها الجو وانبسط أمامها ميدان العمل فسيحاً غير محدود ، كأنى بها وقد استولت على مشاعر جيل جديد ممعن فى الأدب وثقافة العصر ، فراح يفكر فيها ويكتب ويؤلف ، وكأنى بهذا الجيل وقد ضرب بسهم فى جهود البشرية نحو الكمال ، وكأنى بمصر وقفت على قدميها فى طليعة العالم العربى تبادل الغرب ثقافة بثقافة وتبيعه علماً بعلم

لست بحالم . إنى أرى هذا اليوم رأى العين ؟

(تم البحث) زكى عريبى

٢ - نهضة المرأة المصرية

وكيف نوجه للخير العام

للأستاذ فلكس فارس

نحن فى الشرق ، وما أعنى سوى الشرق العربى ، مجلى ثقافتنا وقوميتنا ، لا يهمنا سوى إيجاد الطفل ، ولم نزل مسيرين بعقلية القبائل الغازية فنطمح الى ايجاد الأطفال دون مبالاة بما تؤثر منابتهم عليهم

إن خير ما تستثمر به المرأة للخير العام إنما هو استثمارها أطفالاً يصلحون لتكوين الأمة القوية أجساماً والسليمة عقولاً ، وما النهضة المتجلية بين العدد القليل من بنات الشرق بالنهضة التى يصح أن نراها نهضة عامة متغلغلة فى قلب الشعب نفسه ؛ فالمجتمع لم يزل فى الشرق العربى بأسره يتبع الافراط والتفريط فى تكوين الأسرة ، فالمرأة عندنا اثنتان : ضحية استبداد الرجل ، وضحية الضلال والغرور بنفسها لضعف الرجل إزاءها

ليس لنا إلا إلقاء نظرة على ما حولنا ليأخذ بصرنا مشهدين هما مقتل الأمة وعلة دمارها

المشهد الأول : شاب يفتش عن فتاة لتكون أماً لبنيه ، قيل له إن فى إحدى الأسر الشريفة فتاة بيضاء اللون أو سمراء ، واسعة الأحداق طويلة القامة فاتنة ساحرة فسعى فى أثرها متوسلاً الى أهلها بكفاءته ، فأصبح زوجاً للمجهولة ، نكرة ضمت الى نكرة . . . . فلا يطول الزمن حتى يظهر التنافر الخفى الكامن فى الفطرتين فتبدأ المآسى التى تختتم على الأغلب باهداء المجتمع أطفالاً تيتموا وآباؤهم وأمهاتهم لا يزالون على قيد الحياة . وهنالك الأسر المتعددة لرجل واحد امتنع عليه العدل المشروط فأهدى المجتمع الأخوة الأعداء ، وما يبر بأبيه من كان لأخيه عدواً . . .

المشهد الثانى : فتاة فى ربيع الحياة ، مقصوصة الشعر ، غلاميـة تصادر وتباطن أى رجل كان ، مهتوكة الستر ، محولة هيكل الانسانيـة الى مهبط غواية وطيش ، إن لم يتجاوز عدد مراقصيها المئات ، عدت مقصرة فى ميدان الثقافة ، متأخرة فى حلبة الحضارة والارتقاء ، لا يصل قلبها الى من تقف عنده وتختاره زوجاً لماله أو لجاهه إلا بعد أن يكون هذا القلب قد تقطعت أعشاره خفوقاً ، فهى إذ ذاك كالنعجة التائهة راجعة الى حظيرتها بعد أن تركت قطعاً من صوفها ، وقد تكون تركت قطرات من دمها على أشواك الطريق ...

هى فى بيت الزوج لنفسها أولاً ، وكل غيرة تبدو منه إنما تتجلى لديها كفراً بالتمدن وتقهقراً معيباً ، تعودت أوتار قلبها أن تشد جواباً لكل قرار ، فهى تدفع بالايقاع الموقت مرافقة رنين أى وتر تستعذب نغماته ، روحها شاردة مضللة ، فهى منبت أطفال يأتون الحياة مروعين ، فى أعصابهم تشوش ، وفى أدمغتهم اختلال . . .

هذه خطوط كبرى لرسوم تمر مشاهدها أمامنا كل يوم فى هذه البلاد الشرقية ، وهذه المشاهد هى مركز العلة فينا ومصدر كل ما نشكو من تأخر وانحطاط

إن سيادة الرجل على المرأة لا تعنى قتل الحوافز الطبيعية لتضليل الانتخاب الخفى وفيه سر تحسين الأنسال ، كما أنه لا يعنى استضعاف الرجل أمامها لتجعل نفسها ملهـاة وألعوبة بين أيدى الفاحشين من الرجال

لقد ادخلت مدنية الفرس على الحضارة العربية بدعاً لابد من التحرر منها ، وجاءت المدنية الغربية تستهوى مجتمعنا بما اتضح زيفه لدى مفكرى الغرب أنفسهم لخروجه عن المحور الطبيعى للحياة ، وهذا الذى يراه أنصار الطفرة خليقاً بالاعجاب من حرية المرأة ، المتطرفة ، إن هو فى نظرنا إلا عنوان عبوديتها وذل الرجل المتساهل فيها

إن آدم وحواء أخرجا من الجنة وكل منهما حامل ناموس حياته ، وسواء أكان ما جاء فى التوراة تاريخاً حقيقاً للمؤمنين أم كان أسطورة خيالية لغيرهم ، فان المفكر ليجد فيه النظام الذى لا تستقر الانسانية على سواه

لقد تمردت المرأة فى العالم الحديث على وظيفتها الطبيعية وصاح كثيرات من الكاتبات فى وجه الدنيا قائلات : لا نريد أن يحسبنا الرجل آلة للاستيلاد ، نحن مساويات له فى مجال التفكير والعمل . وكهربت هذه الكلمات أعصاب العدد الأوفر من النسـاء فتمردن على الأمومة واندفعن مطالبات بالعمل الحر استناداً إلى مبدأ الشخصية قبل النوع ؛ وهكذا نشأ العراك بين

الرجل والمرأة فى ميدان الأعمال وفى مجال الحقوق والواجبات

إن الطبيعة نفسها قد قسمت العمل بين الرجل والمرأة فألصقت كفه بالمحراث وألصقت صدرها بالمهد. فحسبت المرأة أن فى موضعها كل العبودية، وخيل لها أن فى مركض جهود الرجل كل الحرية، فسلخت صدرها عن مستقر الطفل واندفعت إلى المحراث، فتعطل الحرث العميق فى الأرض منابت القوت، وساد الظلام على البيت منابت الأطفال

إننا نسمع المعترضات يصرخن قائلات: إننا لا ننازع الفلاح محراثه، بل ننازع الرجل حقنا فى الاشتراك فى الأعمال التى تقوم المدنية عليها؛ نريد التغلغل فى دوائر الحكم والادارات والمصالح فان الله لم يحرمنا القوة الفكرية التى جاد بمثلها على الرجل. ونحن نجيب السيدات بحقيقة إن أنكرها العاملات منهن كن كاذبات مكابرات، فنقول وهل هذه الأعمال كلها على اختلاف مظاهرها سوى محراث يحتك بالأرض القاسية وهو يرتوى بعرق العبودية والشقاء؟ أليس الرجل فى الحكم والادارة والتجارة والصناعة مرتبطاً بمحراث العبودية لهذا التراب يعالجه لاستخراج الخبز بعرق الجبين؟ وهل الأم تملأ البيت نوراً وحكمة وشعراً مستندة إلى ذراع زوجها ومنحنية على سرير طفلها أقل مجداً أمام الحياة من أكبر رئيس لأعظم مصلحة من مصالح الشعوب؟

ليس فى العالم رجل عامل، أيا كان عمله لا يخضع إرادته لمن فوقه ولمن حوله، بل ولمن دونه فى مراتب الهيئات العاملة، فليس ما تتوهمه المرأة حرية فى أعمال الرجال إلا عبودية لهم. على أنه إذا تسنى للرجل أن يحتفظ بشىء من الكرامة لنفسه فى هذه العبودية، فانه ليمتنع على المرأة ألا تصطدم فى مواقفه باهانات أخف منها أثقل ما يمكن أن يلحقها من القيمين عليها، آباء أو إخوة أو أزواج

لقد كان حق المرأة فى جميع العصور تابعاً لحق الرجل وهو يسود عليها، إلى أن طرأ على أوروبا انقلابها المعروف فى بداية القرن التاسع عشر، فنشأ فى المجتمع حق جديد غريب فى عناصره، هو حق المرأة منفصلاً عن حق الأسرة التى يرأسها الرجل، وهكذا شاهدت الشمس ما لم تشهد مثله فى أى عصر من العصور الغابرة: شاهدت النوع البشرى منشقاً إلى فريقين متناظرين يتطاحنان فى الميادين العامة، بعد أن كان هذا النوع البشرى إنساناً واحداً من جسدين مندغمين ينبثق من اندغامهما فجر الحياة

أما منشأ هذا التطور فانقلاب خطير لم يصور فجائعه أحد كما صوره الشاعر الخالد الفرد دى ميسيه، فاذا ما اقتطفنا بعض عباراته لا نخرج عن دائرة الموضوع الذى نحاول الالمام بأطرافه

قال: «فى إبان الحروب الامبراطورية، بينما كان الآباء والاخوة فى بلاد الألمان قذفت الأمهات المضطربات بسلالة شاحبة جاءت الوجود عنيفة مستعرة الاحشاء

تلك سلالة تمخضت بها الحياة بين حربين، وربيت فى المدارس على دوى الطبول، فكان إذ ذاك ألوف من الأولاد يحدج بعضهم البعض الآخر شزراً وهم يمرنون على القوة عضلاتهم الضعيفة، وكان الآباء الملطخون بالدم يلوحون للأبناء من حين إلى حين فيرفعونهم لحظة إلى صدورهم المحلاة بالذهب ثم يتركونهم إلى الأرض ويعودون ممتطين صهوات الجياد»

وبعد أن وصف ميسيه سقوط نابوليون مدفوعا بجناحى القدر إلى أغوار الأوقيانوس البعيد، قال:

«وجرت فى مجتمعات باريس أمور مروعة، إذ انشق الرجال عن النساء، فلبس النساء البياض كالعرائس، واتشح الرجال السواد كالأيتام، ووقفت الفئتان تحدج إحداهما الأخرى بنظرات العداء. انفصل الرجال عن النساء فتولد عن هذا الانفصال شىء أشبه بالنصل القاطع لا شفاء لجرحه، وما ذلك النصل إلا عاطفة الاحتقار

فقد الرجل حب المرأة، فاندفع إلى الخمر ليستعيض عما فقد، ونظر الناس إلى الحب نظرهم إلى الدين كأن كليهما توهم واغترار، وغصت المواخير بالرجال فأصبحت الفتاة مهملة بعد أن كانت تغذى الشبيبة بحبها الطاهر السامى، وعندما احتاجت هذه الفتاة إلى غذاء ورداء باعت نفسها وبذلت عرضها لتعيش. إن الشاب الذى ترك الفتاة وكان يمكنه أن يستنير وإياها بأنوار شمس الله، ذلك الشاب الذى كان فى وسعه أن يقتسم مع حبيبته لقمة الخبز مبللة بعرق جبينه ويتمتع بحبها فى فقره، أصبح مستفرشاً لدمن الانسانية فى مواخير الفسق حيث يتلاقى بالفتاة التى تركها وهى مثقلة بالأوصاب، شاحبة مضعضعة، يجول على فمها الجوع ويرعى قلبها التبذل والفساد..»

(يتبع) فلكس فارس

في الأدب الانكليزي

٤ ـ هل من انتحـــال

في الأدب الانكليزي ؟

للسيد جريس القسوس

— ٧ —

تشاترتن والانتحال

لم يكن أحد من معاصري تشاترتن يشك في صحة ادعائه أن هذه الأشعار منسوبة إلى الكاهن رولى ، بل كلهم يوقنون أن تشاترتن إنما عثر على هذه المنظومات في مخطوطات الكنيسة وسجلاتها ، فنقحها ونشرها في مختلف الصحف ، معلناً أنها اكتشافات أدبية جديدة

لهذا كان في برستل أديبان كبيران من هواة الأدب الرولي ، هما جورج كتكوت Catcott وهنري برْجم Burgum ، هذان حفزهما الولع بهذا النوع من الأدب إلى جمع كلّ ما يعزى إلى ذلك الكاهن الخيالي ؛ من ذلك مخطوطة أدبية وضعها تشاترتن ، ونسبها إلى رولى ، فابتاعها برْجم منه بخمسة شلنات ، ظاناً أنها بقلم الكاهن رولى

ولقد بلغ بتشاترتن طموحه الأدبي إلى مراسلة الصحف ، سنة ١٧٦١ ، حين بلغ السابعة عشر من العمر ، أن أعلن اكتشافه لقصائد شهيرة « من نظم كاهن من كهنة برستل ، اسمه رولى ، عاصر هنري السادس ، وادوارد السابع » ، لكنه لم يتلقّ جواباً مرضياً شافياً ؛ لهذا بعث إلى الأديب النبيل هوراس ولبول Horace Walpole مؤلف قصة «قلعة أوترانتو» Castle of otranto ينبئه باكتشافاته الأدبية . فردّ عليه الأديب ولبول رداً حسناً ، يستزيد فيه معرفة عن ناظم هذه الأشعار ، وعن مقدارها ، واعداً أن ينشرها على نفقته الخاصة

وما كان من تشاترتن إلا أن عاد فبعث اليه بكتاب رقيق ، يشرح فيه بؤسه وفقره ، ويتوسّل إليه في إيجاد عمل له ، يستطيع به أن يسد عوزه ؛ وأرفق ذلك الكتاب ببعض الأشعار الرولية الممتعة . غير أنه ما كاد ولبول يتسلم هذه الأشعار ، حتى سرّ بها سروراً دفعه إلى إطلاع أصدقائه عليها ؛ من هؤلاء الشاعران الكبيران طوماس جرى Gray وميسن Mason فأدهشهما الأسلوب الرائع ، والفن البديع ، والنفَس الشعري العالي إدهاشاً خالطت معه أفكارهما الريبة في أمر انتسابها الى كاهن قديم العهد . فكان ذلك بدء المشكلة الرولية في عالم الأدب الانكليزي

لكن المشكلة لم تتطور وتتعقد إلا بعد وفاة تشاترتن ، فقد جمعت هذه الأشعار ونشرت في مجلد خاص ، كما بينا ، سنة ١٨٠٣ ؛ فأحدث نشرها ضجة صاخبة في عالم الأدب لم تخمد حتى يومنا الحاضر

عندئذ بادر علماء اللغة إلى دراسة لغة هذه الأشعار دراسة وافية دقيقة ، استطاعوا بها أن يكشفوا بعض الكشف عن حقيقة الأمر . فقد توصلوا في بحثهم الى الاعتقاد الجازم بأن لغة هذه الأشعار لا يمكن أن تنسب إلى الشاعر رولى ، إذ كيف يصح ذلك وكثير من مفرداتها لم تتسرب إلى اللغة الانكليزية إلا بعد القرن الذي عاش فيها الكاهن رولى ؟

وأخيراً استدلوا من بحثهم العميق على أن تشاترتن كان يعتمد في كتابة أشعاره على قاموسين في الاشتقاق للعالمين اللغويين بيلى Nathan Bailey وكَرْسي Kersey . فقد كان دأبه في بدء الأمر جمع كل ما تقع عليه يده من المعاني والمفردات القديمة البالية ؛ ثم كان ينحت ما يستطيع نحته منها ، إذا رأى أن الوزن والقافية لا يستقيمان بغير ذلك

ولقد أدرك علماء اللغة ، وخاصة العلامة اللغوي الشهير ولتر سكيت Skeat أنه كان يكتب أولاً بلغة عصره ، وبعد ذلك يحولها بمضاعفة حروف المفردات وغير ذلك من السبل الحاذقة الى أسلوبه ولهجته الخاصة ، بطريقة يحافظ فيها على جمال الأسلوب الشعري وروعته الفنية

ولقد عثر علماء اللغة في شعر تشاترتن المنسوب الى رولى على اقتباسات من شعر سبنسر Spenser ، وشكسبير ، ودرايدن Dryden وبوب ، وقرى ؛ لكنها موضوعة بطريقة لا يشتم منها سرقة أدبية ، وإنما تدل على ذاكرة حادة ، وعتْ هذه

الأشعار ، وأرسلتها فى شتى المناسبات ، بطريقة يتعذر معها على القارئ التميز بين ماهو لتشاترتن ، وما هو لغيره . وذلك مما يدل كل الدلالة على أن هــذه الأشعار من نظم تشاترتن ، لا الشاعر الخيالى رولى . إذ كيف يصح ذلك ، ورولى — فى رأى تشاترتن — عاش فى عصر متقدم على هؤلاء الشعراء جميعاً ؟

ومما زادهم ريبة وشكا فى أمر هذه الأشعار الرولية ، إدراكهم — على ممر الأيام — حذق تشاترتن ومهارته فى تقليد أساليب الكتاب والشعراء المعاصرين تقليداً يتعذر معه على القارئ التميز بين أدب تشاترتن وأدب غيره . فكان مثلاً ينشر فى مجلة Town & Country Magazine ومجلة Middlesex Journal مقالات رائعة ، حاكى فيها أسلوب جونيس Junius[1] محاكاة مدهشة ؛ ليس هــذا فحسب ، بل دفعه حذقه فى فنون الكتابة وأساليبها الشعرية والنثرية إلى تقليد سمُلِت Smollet[2] وتشارتشل Churchill[3] ، ومكفرسن فى أوشان Ossian ، وبوب فى أسلوبه الكلاسيكى ، وقرى وكولنز Collins[4]

وقد طرق — فرق ذلك — معظم أبواب الأدب فخلّف آثاراً قيّمة فى الرسائل السياسية ، وأناشيد الرعاة Eclogues ، والشعر الغنائى Lyric والهجائى ، والرواية الملحّنة Opera ومن أشهر آثاره فى هذا الباب أوبرا (الثأر) The Revenge

والحاصل أن دراسة تطوّر اللغة ، واشتقاق مفرداتها ؛ وعثور العلماء على معان فى شعر تشاترتن مقتبسة من شعراء متأخرين ، وإدراكهم حذقه فى محاكاة الأساليب والفنون النثرية والشعرية ، ونفى المؤرخين زعم تشاترتن بوجود كاهن اسمه رولى عاش فى القرن الخامس عشر وعرفه الناس واستمعوا إليه — جميع هذه أظهرت بجلاء واضح بطلان زعم تشاترتن ، ودلّت دلالة صريحة أن هذه الأشعار لم تكن فى الحقيقة إلا من نفثات يراعة ذلك الشاعر الشاب ، وأنه إنما اخترع الكاهن رولى اختراعاً لتمثيل فكرة أو نحو خاص فى حياته ، أو ليلهى به الناس ، وليُرضى به حاجة أدبية أوخلقية فى نفسه

عندئذ سما تشاترتن فى أعين الأدباء وكبر ، وأصبح ديوانه خير ما يمثل عبقرية الشباب فى ميدان هذا الفنّ الجميل

الكرك — شرق الأردن **جريس القسوس**

مصادر هذا البحث

1. Encyclopedia Brit.
2. Samuel johnson's journey to the Western Island of Scotland
3. Dr. D. Hyde's Who were the Finians ?
4. Alexander Macbian's Transactions of The Gaelic Society of Glasgow
5. Campbell of Isloy's Popular Tales of the west Highlands
6. Sir J. Sinclair's Dissertation on the authenticity of the poems of Ossian (1806)
7. The poems of Ossian, tr. by James Macpherson, with notes & introduction by William Sharp (Edinburgh - 1926)
8. Charles D. Warner's Library of the World's best Literature, Voll. III
9. Prof. Byron Smith's Lecturesoon the Hist. of Eng. Lit. in the American University of Beirut.
10. Harvey's Oxford Companion to Eng. Lit

(١) هو الاسم المستعار للكاتب السياسى المجهول فيلب فرنسيس Francis (١٨٠٠ — ١٨١٨) مدبج تلك المقالات السياسية ، التى هاجم فيها الحكومة مهاجمة عنيفة ، أحرجت مركزها ، وأوقعتها فى حيرة كبيرة

(٢) هو الكاتب القصصى الشهير ، عاش (١٧٢٠ — ١٧٧١) ؛ ومن أشهر قصصه (رودريك راندم) Roderick Random (وهمفرى كلنكر) Humphry Clinker

(٣) هو شارل تشارتشل (١٧٣١ — ٦٤) ؛ شاعر هجاء مقذع من أشهر قصائده The Rosciad هجا بها ممثلين معاصرين

(٤) قرى وكولنز من شعراء القرن الثامن عشر المجيدين ، وتذيرى الحركة الابتداعية فى الأدب الانكليزى . اشتهر الأول بقصيدته (مرثاة فى ساحة الكنيسة) Elegy in the Country Churchyard والثانى بأغانيه Odes المتعددة وخاصة « أغنية الليل » Ode to Evening

الشاعر وسريره

للشاعر الحضرمي علي أحمد باكثير

في عزلتي — والصمت في أفقها   وفي ثراها الوحشة القاتله —
أدير عينيّ فما إن ترى   عيناي إلا ظلمة شامله !
تقطعت فيها خيوط المنى   يا ويلتا .. حتى المنى الباطله !!
كنت بها أمرح في جنة   تسخر منها النُّوَب الهازله
وحين غابتْ فتلمستها   دوّتْ بسمعي ضحكة هائله !

* * *

عدتُ بها أحمل جَنْبي إلى   سريريَ المضطرب الحائر
كبائس أضناه فرط الطوى   مرّ بقصرٍ شامخٍ عامرِ
خارت به أركانه فارتمى   وارحمتا للحَدَث الخائر !
يرنو إلى النور.. ويُذكي الأسى   في قلبه قهقهةُ السّامر !
مثل أغاني الموت طنانة   في أذن المحتضَر البائر !

* * *

ويح سريري ! هو بي مشفق   يوسعني عطفاً وتحنانا
يحضنني جذلان ... حتى إذا   أدرك ما بي ارتدّ أسوانا !
كم وَدّ أن يسلس جنبي له   فما ارتضى جنبي ولا لانا !
لا .. يا سريري ، خلّني والأسى !
نَمْ . لا تبِتْ فوقك سهرانا !
ما كان أحراك بتنفيس ما   يهيظني لو كنتَ إنسانا !

* * *

أُقسُ على جنبي ترفّه به   عنّي ، ففي لينك آلامي !
يُذكّرُني لينَ الرضى والهوى   ولين آمالي وأحلامي !
ولن أُعاقَ ما تذكّرتُها   ناكئةً في قلبي الدامي !
أعدّ ساعاتيَ ... يا ليتني   أسهو فلا أحسب أعوامي !
يا ليت لليأس سبيلا إلى   قلبي فأُوقَى سُخْر أيامي !

* * *

يا ليت لليأس سبيلا إلى   قلبي فأحيا بفؤاد خلي
واعجبا منّيَ أستنجد الـ   ـيأس كأنّي لم يمتْ مأملي !
ما أنا فيه اليأسُ ! لو لم أكن   عن راحة اليائس في معزل !!
مصيبتي هـذا الشعور الذي   يربط ماضيَّ بمستقبلي
مَنْ لي بإنسائيَ نفسي ، فلا   أذكر ما اسمي : خالد أم علي ؟!

نجمة المساء(1)

L'étoile du soir.

لألفريد دي موسيه

ترجمة أحمد فتحي مرسي

يا رسولَ السماء في ذلك الليـ   ـلِ ويا بهجة الظلام المهيبِ
من سُجوفِ السماء جبهتكِ الغرّ (م)   اء لاحت تنيرُ بعد الغروبِ
ما الذي ترقبين — من قصركِ الأز
رق — في ذلك الفضاء الرحيبِ

* * *

هدأت ثورةُ الرياح وقرّت   وبدا الكونُ غارقاً في السكونِ
وغصون الرياض في الليل تبكي   فيهزُّ الربى بكاء الغصونِ
والفراش الجميلُ في هدأة الليـ   ـلِ يجوب الحُزونَ إثْر الحُزونِ

* * *

هو ذا ضوؤك البهيج تجلى   وبدا زاهياً على الآكامِ
أنت في الليل دمعة من لجينٍ   تتلالا على رداء الظلامِ
ترقبين المروجَ والراعيَ الشيـ   ـخَ يجوب الربى مع الأغنامِ

* * *

ما الذي تنشدين يا نجمتي الزهـ   ـراء في ذلك الوجود الغافي
فوق هذي التلال قدبتُّ أرعى   وجهك الضاحك الجميل الصافي
أظلمَ الليلُ غير نظرتك الحيـ   ـرى تجلّى وضوئك الرجّافِ

(1) من ديوان « ألحان الفجر » يصدر قريباً

فلسطين

للسيد جورج سلستي

إنْ فلسطين ، قطعةٌ من سماء   كنتِ قبلاً ، وجنّةً من رُواء
تملأ العينَ ساحراتُ مغانيـ   ـك وتسبي الفؤاد منكِ المرائي
فالجمالُ المنتافُ ماشعّ إلاّ   تحت أجوائك الحسانِ الوضاء !
يطفحُ السهـ(ل) منك بالرونق الضحـ   ـيان ، والسفحُ بالسنى والسناء
وترفُّ الأمجادُ فوقك يا أرضَ النـ   ـبوءاتِ ، رفّةَ الأضواء
وجلالُ الماضي المضمّخ بالسؤ   ددِ والعزِّ والعلى والإباء !

القصص

قصة مصرية

قبلت زواجها

للأستاذ دريني خشبة

(الحوار فى الأصل باللهجة المصرية)

جلس (عم حامد) على حفافى الماء يغسل آثاراً من الدم الأحمر القانى فى ملابسه ، ثم توضأ وولى وجهه شطر القبلة وطفق يصلى . . .

ولكنه كان يصلى صلوات غير منتظمة ولا متساوقة ... فتارة كان يطيل الركوع جداً ، وتارة كان يخطفه خطفاً ... ومرة كان يطيل السجود حتى يظن أنه نائم ، ومرة أخرى كان لا يكاد يمس الأرض بجبينه حتى يستوى جالساً ؛ وكان مرة يصلى ركعة واحدة ويسلم ، ثم يصلى ركعتين أو ثلاثاً أو أربعاً . . . ومرة كان يستمر فى صلاة طويلة لا تكاد تنتهى ! . . . عشر ركعات أو خمس عشرة ركعة . . . وهكذا ! !

وكان يعود إلى الترعة فيتوضأ ويتوضأ ، ثم يعود فيصلى ويصلى . . . وكان يرفع كفيه إلى السماء ، ويعلق عينيه المغرورقتين بزرقتها ، ثم يلهج بذكر الله ، ويصلى على نبيه ، ويكثر من قول : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! ! » ولكنه كان يكثر كذلك من قول : « عمر ، عمر ، عمر ! » ثم يبكى بكاء مراً !

وكان كلبه الأمين يُقعى بعيداً عنه ، وينظر اليه ويتعجب !

— « من عمر يا عم حامد ؟ السلام عليكم ! »

— « أوه ! عبد الله ! تعال يا عبد الله نصلى ركعتين لله ! »

— « أى صلاةٍ الآن ؟ باق على الظهر ساعة يا عم حامد ! »

— « ساعة على الظهر ! والله يا بنى أنا فاكر أن الشمس لم تطلع بعد ! »

— « لا يا عم حامد ! نحن فى الشتاء والغيوم تحجب السماء ، ولكن من عمر الذى تناديه يا عم حامد ؟ »

— « عمر ؟ عمر من ؟ عمر بن الخطاب ! »

— « وماذا تريد من عمر بن الخطاب فى هذا البرد القارس؟ »

كم تهاديتِ فوقَ هام التواريـ ... ـخ ، دنيا سحريَّةَ الأنحاءِ
يلعبُ النور فوق ضاحى صياصيـ ... ـها ويلهو على ثرى الأوداءِ !
كم تجلَّيتِ فى الوجود سماءً ... رصَّعتْها كواكبُ الأنبياءِ !
تنفحُ الناسَ بالعدالة والسلـ ... ـم وبالحلم والتقى والإخاءِ !

***

إنَّ فلسطينُ ، مهبطَ الوحى والإلـ
ـهامِ والدينِ والهدى والحياءِ
جنةً كنتِ فاستحلتِ جحيماً ... بوجود اليهودِ والأوصياءِ !
كنتِ بالأمسِ ملءُ باحاتكِ السلمُ
فأصبحتِ ساحة الهيجاءِ !
فثراكِ الفسيحُ قد غصَّ « بالتَّنْك » ،
وبالطائراتِ رحبُ الفضــاءِ
وتبارى بأهلك العُربِ تمثيـ ... ـلاً وفتكاً ، جندُ الوصىِّ المرائى !
فاستحلوا قتلَ البرئ ، فما يُبْـ ... ـصَرُ إلاَّ مضرَّجٌ بالدماءِ
وأديمٌ مخضَّبٌ وصعيدٌ ... قد علتْهُ نثارةُ الأشلاءِ
إن تحت الدم المرقرقِ أفوا ... هاً وطىَّ الأشلاءِ رجْعَ نداءِ
تستفزُّ النفوس للأخْذ بالثأ ... رِ وللإنتقام للشهــداءِ !
والميامينُ لا تنامُ على الضيـ ... ـم ولا تستكينُ للأعداءِ
ودماء الأحرارِ مَهْرُ المعالى ... وصَداقُ الحريَّةِ الحمراءِ ! !

***

يا فلسطينُ سُــلَّمُ العلياءِ ... إصعدى ، إصعدى ، فانَّ الضحايا

— « لا شيء ... فقط ... ذكرته في جاهليته وقد خرج الفجرَ ليدس ابنته في التراب وكانت الطفلة تعبث بشعر ذقنه فينظر إليها ويبكي .. مسكين سيدنا عمر ! كان له حق ! كان له حق

— « كان له حق حين ذهب يدفن ابنته حية ؟! يا للقسوة ؟ ؟ »

— « والله كان له حق يا عبد الله ! البنات ! البنات ! آه من البنات يا بني ! »

— « استغفر الله ياشيخ ! مالك مضطرباً هكذا يا عم حامد ؟ ؟ »

— « أستغفر الله ! ! صحيح ! أستغفر الله ، أستغفر الله »

— « الله أكبر . . . ما هذا الدم يا عم حامد ! »

— « دم ! أيّ دم ؟ آه ! هذا من جرح بسيط في ذراعي يا عبد الله »

— « وماذا جرح ذراعك ؟ »

— « وقعت على هذا الحجر وأنا أتوضأ ، وكانت عنده زجاجة ... هل بذرتم البرسيم ؟ »

— « بذرنا البرسيم ؟ نحن (نعلف) بهائمنا منه وأنت تسأل عن بذره ؟ ماذا بك يا عم حامد ؟ »

— « لا شيء ! اتركني يا عبد الله ! أود أن أنام قليلاً ، أنا متعب يا بني ، لم أنم طول الليل ... »

— « السلام عليكم يا عم حامد ، كان الله في عونك ! كان الله في عونك يا شيخ »

***

وانصرف الشاب الفلاح وفي قلبه وسواس يشغله ؛ فهو لم يعهد عم حامد ، الرجل الطيب ، كما عهده اليوم شديد الحيرة بادي الارتباك مغبر الوجه ؛ وعهده به الشيخ الهادئ الدمث المشرق الجبين الضاحك المُحَيَّا ؛ ولكن الشاب مع ذلك لم ير أن يلحف حتى يقف على سر الفلاح الشيخ ، الذي لا يوجد في القرية بأكملها من يصلي أكثر منه ، أو يعطف على الضعفاء والمحتاجين كما يعطف هو على الضعفاء والمحتاجين . . .

ثم تعب عم حامد من كثرة ماصلى وناجى ربه ، فنام على الحشيش اليابس المنتثر في المصلى ، وطرح فوقه ذلك (البشت)[1] الذي صنعه بيديه من الصوف الغليظ الذي لا يُرى الشيخ إلا وهو يغزله ، واسترسل في سبات عميق ممتلئ بالأحلام المخيفة والرؤى الدامية وأقبلت فتاة جريحة ... فلاحة ساذجة ، تضع فوق رأسها (طرحةً) من الشاش الأسود مُسبلةً على العنق الطويل المربوط برباط كبير من الشاش الأبيض انتفخ القطن من تحته ليدل على جرح كبير في مكان خطر ؛ وربطت كذلك ذراعها اليسرى كما ربطت عنقها

أقبلت هذه الفتاة نحو المصلى ، ووقفت عند رأس عم حامد تنظر إليه في ذلة وانكسار ، وترسل من عينيها الدعجاوين دموعاً كالمطر حارّةً سخينة كأنها تفور من قِدْر تغلي . . . وكانت ثيابها البسيطة تزيد في جمالها الهادئ الحزين ، وتبرز من الصدر ثديين ناهدين ينحدر عليهما الجلباب الفضفاض فيجعلها كتماثيل مختار ، وتبدي من أسفل قدمين صغيرتين بلّوريتين هدأ على كعبيهما خلخال كبير فضي تمتاز به أقدام الغيد الأماليد من قرويات مصر ، وهو دائماً فتنة الأنظار في الريف المصري . على أن وجهها الشاحب المتزعج كان هو الآخر فتنة المفاتن ! حاجبان رفيعان مقوسان تحت جبين ناصع فوق عينين كبيرتين حوراوين ، تضاعف سحرهما أهداب طويلة كحيلة ، تلقي ظلالاً من الجمال المصري على الخدين البارزين المثمرين ... كأنما خلقها الله محوراً لأمور جسام تقع في ذلك البيت الصغير من تلك القرية الكبيرة البارزة في ريف المنوفية ، توكيداً لخلق الفلاح المصري الذي يقدس العفاف في الفتاة ، ولا يسمح أن يُفتحَ قلبها إلا عن طريق أبويها

وكان عم حامد يتقلب على شوك أحلامه ، ثم استيقظ فجأة ليرى فوق رأسه « ثُريّا » ابنته ... ثريا ... التي حسب أنه قتلها وعشيقها بمحشته الكبيرة ..

وفرك عينيه مرتين أو ثلاث مرات ، ولكنه تأكد أنها هي ... هي ثريا من غير شك

— « بنت ؟ ... »

— « ... ؟ ... »

— « ثريا ؟ ! »

— « أبي . . . »

— « وكيف تركت محمود ؟ »

— « حالته خطرة جداً ... قد يموت بعد ساعات »

— « آه . . . يا رب . . . يا رب . . . يا لطيف ! غفرانك يا لطيف ! »

وصمت لحظة ، ثم نادى ابنته ...

---

(١) هذا اسمه المصري ويسمى بالعربية (البت) بغير شين ذكره الثعالبي في فقه اللغة وجاء في اللسان والقاموس

— « ثريا . . . سامحيني يا ثريا . . . سامحيني يا ابنتي . . . سامحيني ... قولي الله يسامحك يا أبي ... قولي ... الله ! لماذا تبكين ؟ الجروح تؤلمك ؟ لا ، لا ... ستشفى هذه الجروح إن شاء الله ... تعالى يا ثريا ، تعالى ، اجلسى الى جانبي ؛ تعالى ، أنت خائفة ! اطمئنى يا بُنَية ! اطمئنى ... لقد غسل دمك ودم محمود كل ما كان فى قلبى من غيظ ... الله يشفيه محمود ابن خالى ، هل كنت تحبينه يا ثريا ؟ »

— « والله يا أبى لقد كان يبشرنى بأنه سيخطبنى إليك اليوم! »

— « لا حول ولا قوة إلا بالله ! ولكن ! على كل حال كان يجب ألا تسمحى له بتقبيلك ...

أنا ظننت ، لاسمح الله ، أن بينكما ... (شيئاً حراماً) ! »

— « لا والله يا أبى ، ماكان بيننا إلا كل طهارة »

— « لا عليك يا ثريا إذن ... الله يشفيه يا بنية ويتزوجك وتتمتعان بشبابكما ... لا حول ولا قوة إلا بالله ، أنا (أخطأت) لا ريب فى ذلك ... صحيح ، أنا تسرعت ... ولكن الحمد لله ... لا بد أن أصلى ركعتين شكراً لله على سلامتك يا بنتى ! »

وذهب عم حامد الى الماء وتوضأ ثم راح يصلى صلاة خاشعة هادئة منظمة

***

لقد كانت خلية من النحل تطن فى رأس ثريا من أجل محمود ، فلقد كانت تحبه ، بل تعبده ؛ ولقد كان يحاول أن يحملها بين ذراعيه الواهيتين الضعيفتين بعد أن فاجأهما عم حامد يتناجيان فى منزله الخالى ، فضربهما بمحشته تلك الضربات التى حسبها قضت عليهما ، وغسلت عن عرضه عار الفضيحة التى زعمها تلحقه فى ابنته ... ولكن محموداً ، القوى الجبار ذا العضل ، عجز حتى عن حمل نفسه ، لأن جروحه كانت أكبر ، ولأن الدماء ظلت تتفجر منها وتنهمر ، فسارت ثريا الى جانبه تسنده على رغم ضعفها وإعيائها حتى بلغا دار حلاق الصحة القرية ، حيث وجداه يطبب فلاحين كثيرين ثمة ، وحيث كان ابنه يضع (العَلَق) على أورام العجائز ، أو يعالج الحمص فى مرضى مساكين

— « عم أبا طالب . . وحياة أبيك تلحق ، اربط جروح ثريا ، و ... جروحى بعد ذلك ... »

— « لا ... لا ياعم أباطالب ... الحمدلله ... عليك بمحمود أولاً ! »

ولم يكن أحد من المرضى الكثيرين فى دار عم أبى طالب من أهل القرية لحسن حظ الجريحين ، فكانا يتكلمان بجرأة وصراحة ، وأراد عم أبو طالب أن يصطاد سمك الجنة من دماء الفتى والفتاة ، فقال : « الله أكبر ، ماهذه الجروح ؟ هذه جناية بالتأكيد ! لابد أن أبلِّغ ! سأبلغ الشرطة لضبط الحادثة . . »

وترك مايشغله من أعمال بالفعل ، ثم لبس معطفه الكحلى الكبير ويمم شطر الباب يوهم الجريحين أنه منصرف الى مركز الشرطة للتبليغ عن الحادث

— « ياعم أبا طالب ! ياعم أبا طالب ! خذ من فضلك ! »

وكان صوت محمود وهو ينادى حلاق الصحة ضعيفاً واهياً

— مالك يا سيد محمود ؟ هذه جناية ولا بد أن أبلغ ...

ثم اقترب الحلاق من الجريح البائس الذى لم يكن يمتلك أكثر من عشرة قروش ، ومد يده

— « هاك (بريزة) ياعم أبا طالب ، ولما (أخف وتخف) ثريا . . . »

— « بريزة ! ما شاء الله ، والله إنها مسألة لا يكفينى فيها جنيه وغرارتان من الأرز ... »

— « لك ذلك يا عم أبا طالب ... أسرع وحياة أبيك »

ورفضت ثريا أن تضمد جروحها قبل محمود ، وحاول محمود أن يؤثرها على نفسه ولكن الحلاق الذى لا يعرف هذه العواطف تقدم بقطع القطن والشاش القذر وصبغة اليود والمرهم ، فضمد جروح الفتى ، ثم جروح الفتاة »

— « كيف حال محمود يا عم أبا طالب ؟ »

— « اسكتى ، حالتك أحسن منه بكثير ، مسكين ، ربما لا يأتى عليه ثانى يوم يا ...

على كل حال الجنيه وغرارتا الأرز لا آخذهما إلا منك ... والا ... فالفضيحة إن شاء الله !! »

— « ربنا يستر يا عم أبا طالب ... ان شاء الله ربنا يشفى محمود ، ويرى خاطرك »

وتركت ثريا حبيبها فى منزل الحلاق وتهالكت على نفسها الى الحقل لتلقى أباها ، لأنها أعرف به ، ولأنها واثقة أن ثورة الغضب التى سيطرت عليه لا بد أن تكون قد هدأت وسكنت ريحها ... ثم هى عارفة بورعه وتقاه وقلبه المؤمن الذى لا يحب لصاحبه أن يكون سافك دماء زكية بغير جرم غير

الظن ، وكم من الظن ما هو إثم لو تدبر صاحبه ... ذهبت إليه إذن ... وكانت ألف فكرة تزدحم فى رأسها طيلة الطريق ... « تُرى ؟ كيف أكلمه ؟ وكيف أبدأ حديثى معه ؟ هل سكن روعه ؟ أم هو حين يرانى ما أزال على قيد الحياة يثور ثائره ويتم المأساة ؟ آه يا ربى ! أحلم بالزواج وتأبى المقادير التاعسة الا الفضيحة ؟ ... ... »

واختتم الشيخ المحطم صلاته ، ونظر الى ابنته بعينين رجراجتين تفيضان بدمع غزير ، ثم دعاها لتجلس إلى جانبه فامتثلت ثريا ، ودنت منه وقلبها يخفق وجسمها يرتجف ، ثم جلست معه فى المصلى ، وبدلاً من أن يضغط بذراعيه على عنقها فيخنقها كما كان يخيل اليها ، تناول رأسها الجميل فطبع على جبينها قبلة هادئة صامتة ، وتحدرت دموعه على خديها ، ثم جعل يرجو منها أن تسامحه !

وصمت الوالد وابنته لحظة ، ولكن صراخاً مرعباً ارتفع فجأة من جهة القرية ، فنظرت ثريا ، وهالها أن ترى نسوة متشحات بالسواد يجتمعن قرب الحارة التى فيها دكان الحلاق !

— « أبى ! . . أبى ! . . محمود ! . . »

— « محمود ؟ ماله يا ثريا ؟ . . . »

— « مات ! »

— « مات ! لا حول ولا قوة الا بالله ... مسكين محمود ! »

ومرّ غلام بهما كان مقبلاً من جهة القرية فسألاه : من مات . ؟ فأجابهما : « انه محمود ابن عم حنفى .. مات عند حلاق الصحة من جروح فى عنقه .. قتلوه ! الله ينتقم منهم ! قتلوه من أجل قفة ذرة ! »

واسودت الدنيا فى عينى عم حامد ، وأيقن أنه ممض بقية حياته فى غيابة السجن ، وما كان أحوجه الى نهاية مريحة ناعمة ...

أما ثريا ، فقد انهدت قواها ، وطار لونها ، وامتلأت عيناها الجميلتان الحزينتان بأشباح الوحشة ، وفكرت فى أحلامها التى طاشت ، فكانت تتراءى لها طيوراً سوداً كالخفافيش تملأ الغرب الذهبى الذى أوشكت شمسه أن تغيب !

— « أبتاه ! »

— « نعم يا ثريا ! »

— « لازم نروح ! »

— « الى أين يا بنتى ؟ »

— « هناك ! عند ... ا ... (عزا) »

— « طبعاً يا بنتى ... هيا ... لا علىّ أن يضعوا الحديد فى يدىّ ! هذا أمر الله وقضاؤه ! واذا سألوك فيجب أن تعترفى بالحقيقة يا ثريا ... لا حول ولا قوة الا بالله ...

وسار الشيخ المسكين وسارت فى إثره ابنته ، حتى اذا بلغا القرية وعما شطر منزل حلاق الصحة لم يجدا أثراً لجنازة أو نحوها ، فظن عم حامد أنهم ذهبوا بالميت الى مسجد القرية للصلاة عليه ، ولذلك انثنى ليأخذ طريقه الى المسجد ، ولكن رأساً برز من نافذة فى باب الحلاق أخذ يناديه فجأة : « يا عم حامد ... ياعم حامد ... هات ثريا وتعال ... »

ونظر الشيخ ، فرأى الحلاق نفسه هو الذى يناديه ، فذهب إليه وصمت لحظة وهو يرمقه ، ثم قال له :

— « أبا طالب ! استرنى يسترك الله ! أنا ما صنعت ذلك إلا دفاعاً عن عرضى ! هل بلّغت الشرطة ؟ »

— « اطمئن ياعم حامد ، اطمئن ، ولكن قبل كل شىء كم جنيهاً ستعطينى ؟ »

— « كل ما تطلب يا أبا طالب ! »

— « خمسة جنيهات على الأقل ياعم حامد ؟ »

— « لك ذلك يا ولدى ... »

— « تعال إذن ... شرّف منزلى ... »

***

ودخل الرجل . . . ودخلت فى إثره ابنته ، يحملان هموم الدنيا والآخرة !

ياللعجب ! ماذا يرى ؟ ها هوذا محمود .. محمود حى لم يمت ! وهو يدخن لفافة بشغف ولذة . . . وإلى جانبه مأذون القرية ، ورجلان من أكرم رجالها

— « قبلت زواجها ! »

— « قبلت زواجها ! »

— « قولى يا ثريا ... وأنا قبلته بعلاً لى ! »

وتقدم الغلام الخبيث الذى كان أخبرهما أن محموداً قد مات ، فسقاهم شراب الليمون المعطر بماء الورد . . .

دريني خشبة

البريد الأدبي

نظريات فى الحرب

الجنرال لودندورف من أعظم قواد ألمانيا فى الحرب الكبرى وأعظم الخبراء العسكريين المعاصرين ، وله فى الحرب ووسائلها وغاياتها نظريات خاصة بسطها فى كتاب وضعه بعنوان : « الأمة أثناء الحرب » ، وقد ظهرت أخيراً ترجمة انكليزية لهذا الكتاب بنفس العنوان The Nation at war ، وفى هـذا الكتاب يحمل الجنرال لودندورف على نظريات كلاوزافتش فى الحرب ، وخلاصتها أن السياسة يجب أن تكون أداة للمشرعات العسكرية ، وأن هذه المشروعات يجب أن تكون طريقاً مباشراً للحرب ؛ ومع أن نظريات كلاوزافتش تعتبر فى كثير من الأمم ولا سيما انكلترا نظريات متطرفة خطرة ، فانها تعتبر فى رأى لودندورف لينة قاصرة ؛ ذلك لأنها فى نظره تفسح للسياسة مجالاً أكثر مما يجب ، ولأنها لم تدرك أهمية السيطرة العسكرية المطلقة . وكل ما يسلم به الجنرال لودندورف من نظريات سلفه هو أن الحقيقة الخالدة فى الحرب « هى حصر الأغراض العسكرية فى سحق جيوش العدو خلال الحرب » . أما ما تبقى من نظريات كلاوزافتش فيرجع إلى ماض انقضى وحل محله عهد جديد . ويرى لودندورف أن الحرب الحديثة لم تبق حرب جيوش وقوى عسكرية فقط ، وإنما هى حرب مطلقة تقوم على حرب الأمم ضد الأمم . ويجب بناء على ذلك أن تضع الأمة كل قواها العقلية والأدبية والمادية فى خدمة الحرب ، وأن تكون هـذه القوة أثناء السلام مخصصة للحرب التالية . ذلك لأن الحرب فى نظر لودندورف هى أعظم تعبير عن إرادة الأمة فى الحياة ، ولهذا يجب أن تكون السياسة عبداً مطلقاً للحرب وأداة مطيعة لها

ويرى لودندورف أن الحرب وسيلة لا غاية لها ؛ ولهذا يجب أن تعد الأمة للحرب ، وأن تكون دائماً على قدم الاستعداد له . ويرجع لودندورف هزيمة ألمانيا فى الحرب الكبرى إلى الدعاية النصرانيـة والدعاية اليهودية ، ويقول إن العقيدة النصرانية ، والحياة التى تترتب عليها ، لهما أهم أسباب الانحلال القومى فى الحرب المطلقة ؛ ولهذا يجب أن تستبدل بهذه العقيدة أخرى تقوم على العقائد الجنسـية ، أو بعبارة أخرى تقوم على الايمان « بألمـانيا » وألمانيا وحدها ؛ ومن ذلك تتفجر الوطنية الصحيحة . وتؤمن المرأة بأن أعظم واجباتها ينحصر فى إنتاج أبناء أقوياء للأمة يحملون أعباء الحرب المطلقة ، ويخصص الرجال كل قواهم لهذه الغاية . والخلاصة أن لودندورف يرى أن الغاية القومية المثلى هى أن يربى الشعب ويعد لغاية هى الحرب

كتاب عن لوبية

نظمت فى العام الماضى بعثة انكليزية لتكتشف مجاهل صحراء لوبية بالسيارة ، وأسندت رياستها للمستر كندى شو . وقد قطعت البعثة فى جولاتها فى الصحراء أكثر من ستة آلاف ميل ؛ وأصدر أخيراً مستر ماسون هودر أحد أعضاء البعثة كتاباً عن هذه الرحلة الصحراوية عنوانه: «جنة الجهلاء Paradise of Fools» وفيـه يصف رحلة البعثة منذ قيامها بالسيارات من القاهرة واختراقها لصحراء لوبية جنوباً حتى الفاشر من أعمال السودان على خط ١٤ شمال خط الاستواء ، ثم عودها إلى سواحل البحر الأبيض من طريق آخر ، واختراقها « بحر الرمال الأعظم » الذى يغمر واحة سيوه . وقد كانت البعثة تجرى فى جولتها مباحث جيولوجية وجغرافية ونباتية وحيوانية لحساب الجمعية الجغرافية البريطانية التى جهزتها . وقد لقى أحد أعضاء البعثة حتفه أثناء السير ، وهو الكولونل ستروث

ويغرق مستر ماسون فى وصف أهوال الصحراء ويقول لنا : إن الانسان فى الصحراء يفقد حواسـه الحقيقيه ، ويرى فى السهل الشاسع ، وفى ضوء الشمس الساطع ، الأرض المنبسطه تغلى وتترنح فى السراب ، وتملأ العين هواجس متعبة ؛ وترى أشياء لا توجد ، على حين لا ترى أشياء خطرة ، وقد لا ترى حتى يقع المكروه

ويقول مستر ماسون : إن أغرب ما يلفت النظر وجود الحيوانات فى هـذا القفر الشاسع الذى لا توجد فيـه قطرة من

المـاء ؛ وكذلك مما يدهش الانسان أن يرى فى قلب الصحراء وادياً عجيباً تظله الأشجار الباسقة هو « وادى حوار » وهو واد لا يصل الماء إليه من أى النواحى

معلومات عن بلاد التتار

وقعت فى بلاد التركستان الصينية منذ ثلاثة أعوام حوادث عسكرية وسياسية خطيرة لم تتضح حقائقها لبعد الشقة وانقطاع المواصلات ، ولكن جريدة « التيمس » الانكليزية أوفدت إلى الصين مراسلاً خاصاً لها هو المستر بترفلمنج ليقف على سير الحوادث بنفسه ويبلغها للعالم ، فسافر مستر فلمنج إلى الصين ، وانقطعت أخباره شهوراً عدة حتى ظن أنه قتل أو ضل ؛ ولكن ظهر فيما بعد أنه اضطر أن يخترق الصين كلها من بكين إلى الغرب ليصل إلى مدينة كشغر عاصمة بلاد التتار (التركستان الصينية) ، وأنه نجح فى مهمته ، ودرس الحوادث والشئون فى تلك الأنحاء درساً حسناً

وقد أصدر مستر فلمنج أخيراً كتاباً جامعاً عن رحلتـه بعنوان « أنباء من بلاد التتار News from Tartary » ؛ ويستخلص من روايته أن حكومة سنكيانج (التركستان الصينية) التى يرأسها الجنرال شـنج واجهت ثورة خطيرة قام بها التتار والتونجان ، وكادت الثورة تكتسح كل شىء لولا تدخل السوفييت العسكرى ومعاونتهم للجنرال على تثبيت أقدامه ؛ وكان الجنرال شـنج قد قبض على زمام الحكومة منذ سـنة ١٩٣٣ ، وأرغم حكومة نانكين الصينية على الاعتراف بمركزه . والآن يسود حكم الجنرال شنج فى معظم بلاد التتار ، ولـكن السلطان الحقيقى فى يد السوفييت الذين يحتلون مراكز السلطة فى البلاد كلها ، ويحاذر السوفييت الآن من بث الدعوة الشيوعية فى بلاد التتار ، ولـكنهم يبعثون أبناء الكبراء والموظفين فى كل عام مجاناً إلى طشـقند ليتعلموا فى مدارسها ، ويعدون بذور دعوتهم من طريق النشء

وكتاب مستر فلمنج جدير بالقراءة ، لأنه يتحدث عن بلاد شرقية لا نعلم الكثير من شؤونها . وقد كتب بأسلوب شائق

النشيد القومى — « الغلطة الثانية »

نبهنا إلى الغلطة الأولى فى هذا النشيد الذى يراد فرضه على مصر ، وطلبنا الرد عليها وانتظرنا ثلاثة أسابيع فلم يرد أحد ، وعلى ذلك فقد سلموا بها تسليما تاماً بلا قيد ولا شرط ، وأصبح قول ناظم النشيد : (سأهتف باسمك ما قد حييت) كلاماً معكوساً فاسداً يخالف العربية والعامية

والآن نذكر الغلطة الثانية ، ونحن على يقين أن صاحب المالى وزير المعارف الرجل العـالم والأديب سيكتفى بالغلطتين . أما القراء فلا بد أن ينتظروا إلى نهاية العدد

يقول ناظم النشيد :

غرامك يا مصر لو تعلمين قصارى شعورى (دنيا ودين)

قصارى شعورى معناها غاية شعورى ونهاية شعورى . ومن الطريف أن بعض قراء الصحف قرأ هذه الـكلمة (قَصَارِى) بفتح القاف وكسر الراء !

ولـكن ما هو إعراب (دنيا ودين) ؟

أهى مرفوعة ؟ لا . أهى مجرورة ؟ لا . إذن هى منصوبة ولا وجه لنصبها إلا على التميز ، فهل تصلح تميزاً أولاً ؟

يشترط فى التميز أن يكون رافعاً لابهام . والشعور هنا جنس مبهم يحتاج إلى تمام يفسر معناه ، كالحب أو الـكره أو الغضب وغير ذلك من أنواع الشعور . ولـكن (الدنيا) ليست من أنواع الشعور فلا تصلح لرفع الابهام عنه وتفسيره إلا إذا صح أن يقال : غرامك يا مصر غاية شعورى قمحاً وبناً وسكراً ، أو نهاراً وجبالاً وحيواناً وسماء وأرضاً . وهذا كلام فاسد لا معنى له

ثم إن الدين ليس شعوراً ، بل هو عقيدة وعمل ، فهو كذلك لا يصلح للتميز هنا ؛ وإذا صلح فأى مسلم يتجرأ على أن يعتقد أن غاية الشعور ونهايته من الدين الاسلامى غرام مصر ؟ إذا اعتقد المسلم هذا ونادى به فهو زائغ العقيدة ، ويكون النشيد القومى ضلالة يجب محوها ، ويحرم على جميع المسلمين أن يقبلوه

وإذا أريد من (دنيا ودين) الحياة الدنيا والحياة الأخرى كان هذا أقبح وأسخف . وأى مسلم يتجرأ على أن يقول : إن غرام مصر غاية شعوره من الحياة الآخرة ؟

س . ط

بكلية الآداب

أقصوصة حب اللحم

علقت الرسالة على أقصوصتى (حب اللحم) تعليقاً فهمت منه أنها لم تفطن للسبب الذى من أجله آثرت هذا الحل الذى لم يرقها والذى (لا يرضى الخلق الجميل) على حد تعبيرها — ولعل الأستاذ المحترم صاحب التعليق فاته أن (زوجية) هى بطلة القصة ،

الكتب

الحيــاة الجديدة

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

للأستاذ دريني خشبه

للأستاذ سلامة موسى فى مصر مدرسة عرف تلاميذها بالدؤوب والنشاط الذهنى ، وهم جميعاً من الشباب المثقف المتشوّف دائماً لمستقبل حافل ملىء بالأمانى والآمال والأحلام . وهم دائماً يفخرون بأنهم يمثلون ثقافة اليسار فى مصر خاصة والشرق عامة ، ومن هنا نزوعهم الى الثورة فى تفكيرهم ، ومن هنا أيضاً تبرمهم بثقافة اليمين وتحرشهم بزعماء مدارسها . ونحن لا يسعنا إلا أن نمتدح تلاميذ هذه المدرسة بالرغم مما يتورط فيه بعضهم من البذاء والتطاول ، وبالرغم من أن الأستاذ سلامه نفسه يفسح فى مجلته لهذا البعض من السفهاء مجالاً واسعاً يهرجون فيه تهريجاً لا يتفق ومقام الأستاذ ومكانته الرفيعة فى نهضة هذا البلد

بيد أن للأستاذ تلاميذ بارزين ، استطاعوا بعد كفاح عظيم وجهد متصل أن يفسحوا لأسمائهم أماكن ظاهرة فى محيط التفكير المصرى . ولعل من أفضل هؤلاء التلاميذ الأستاذ المفكر المطلع صديقنا (نقولا يوسف) الذى أخذ نجمه يتألق فى السياسة الأسبوعية ، ثم فى عشرات من المجلات والصحف والأندية ، عُرف فيها جميعاً بسمو الغاية فى تفكيره وحرارته الوطنية فى حبه لمصر ، ومحاولته دائماً الاندماج فى الأوساط المختلفة ليترك فيها خمائر من ذهنه الخصب وثقافته الواسعة واطلاعه الشامل

ولقد بدا للأستاذ الصديق أن يجمع كل ما كتب ، ويصدره فى مجلد حافل غنى (عن دار المجلة الجديدة) وكتب إلى يسألنى عن رأيى فى كتابه هذا ... ولا أحسب فى ذلك توريطاً لى من قلمه البارع يجعلنى أثنى على عمله الثناء كله من دون أن أعرض لبعض نواحى الكتاب بنقد شديد يكاد يشبه الذم

جمع الأستاذ فصوله القيمة وجعلها فى ثلاثة أبواب ، أولها (بحوث عالمية) من مثل (فن الحياة ، الانسانية بين الحرب والسلم ، فى الوحدة العالمية ، فى الأدب الجديد ... الخ) . وثانيها (شئون مصرية) من مثل : « فى الأدب المصرى . الكاتب المصرى بين البيئة والوصف ، تجديد الموسيقى المصرية ، احتضار الحجاب ،

وأنها لم تكن موافقة على تلك الجريمة التى دبرها صلاح . ولذلك قالت له : « حرام عليك يا صلاح . . . » ثم راعها أن تسمع السيارة تنقذف فى النيل ، فقالت : «وَىْ ... اسمع ! لقد انقذفت السيارة فى الماء !! » فلما قال لها صلاح : « بمن فيها طبعاً ! » لم تزد على أن قالت : « يا للقسوة !! » وقد أخطأ الصفاف ، فجعلها (يا للقوة) مُسقِطاً السين

وأحسب الأستاذ صاحب التعليق يعلم أن بطل القصة عادة يحمل رأى الكاتب وإن لم يكن هذا شرطاً عاماً ، فقد تكون القصة كلاً لا يتجزأ ، وقد تكون — بل ينبغى أن تكون عادة — درساً يرمى الى غرض ما . ومن سياق القصة تحس الكراهية الشديدة لقصر العلاقة بين الزوجين على الجنس دون القلب ، وكان بيومى أفندى رمز الجنس فى القصة ، وكان صلاح رمز الروح فيها .

فأى شىء لا يرضى الخلق الجميل فى أن ينتصر الروح على الجنس ويقذف به فى النيل ؟

وأحسبنى أهيج زعماء ثقافة اليسار إذا قلت إن القانون الجنائى فى الشريعة الاسلامية معطل فى مصر ، فكيف يكون القصاص من زوج زان وسكير ومبذر تضبطه زوجته غير مرة زانياً وسكيراً ومبذراً ؟ هل تملك تطليقه ؟

هذا ولا يفوتنى أن أعتب على صاحب التعليق أسلوبه ، فانى لا أنشد بقصصى الكثيرة إلا خُلُقاً جميلاً ما ؟

دريني

(الرسالة) نوافق الأستاذ الدرينى على أنه ينشد بقصصه الخلق الجميل ، وهو ولا شك يوافقنا على أن الدين والقانون هما جوهر الخلق الجميل ، والدين يأذن للزوجة المضرورة أن تطلب الطلاق وتثبت الضرار فيحكم القاضى بالتفريق ، والقانون لا يجيز لحبيب الزوجة ولا لغيره أن يقتل الزوج وعشيقته على هذه الصورة

الفلاح ، وتجديد القرية .. الخ» . وثالثها (دراسات أدبية وفنية) من مثل : «فى الفن الاغريقى ، شعراء الأرستقراطية ، فى الأدب الهندى ، ساعات مع بوذا وطاغور وملتون وشالى ، ولز والعصر الجديد ... الخ »

ولست أدرى لماذا حشد الأستاذ كل هذه الفصول فى كتاب واحد ؟ ولم لم يصدرها فى ثلاثة كتب حتى يكون من الممكن أن يستقل كل منها بفكرة متحدة وغاية واحدة ؟ إن الكتاب كبير ضخم ، وهو بضخامته غير المتناسبة يتخم القارئ ويصده عن متابعة القراءة ، خصوصاً وأكثر القراء كسالى ، وأكثر بحوث الكتاب دسمة غزيرة الفكر ، والكتاب ليس قصة يغرى أولها بآخرها ، ولكنه حشد من الآراء التى لا يربطها فى الظاهر أى رابط ، وإن رمت فى النهاية إلى التثقيف العام

إن القسم الثالث من الكتاب ، وهو أمتع أقسامه الثلاثة ، كان يمكن أن يكون كتاباً مستقلاً يكاد لا يكون له نظير فى المكتبات العامة . وإن أى بحث من بحوثه ليشهد للكاتب بسعة الاطلاع وعظم الجهد الذى عانى فى كتابته بعد تحضير مواده الكثيرة . . . فالبحث الأخير مثلاً (ولز والعصر الجديد) هو عصارة شهية لهذا الكاتب الانجليزى المأسوف عليه ، لتى فى إعدادها حضرة الكاتب كل عناء ومشقة ؛ ويكفى أن تعرف أنه تناول أكثر كتب ولز ، فلخصها وشرح لك طريقته فى كتابة كل منها ؛ لتعلم أى جهد جبار كان يبذل أديبنا عند ما اعتزم كتابة فصوله فى هذا القسم الثالث من الكتاب . ومثل هذا الفصل لا يمكن أن ينتهى منه الكاتب فى أقل من شهر تقريباً . أفليس من الحرام إذن أن يجتمع ذلك البحث الكلى و (شؤون مصرية) أو (تأملات على شاطىء البحر) فى كتاب واحد ؟ ! مالولز وما لهذه الموضوعات (وليست المواضيع يا أستاذ نقولا !) الانشائية يا صديق ؟ مالولز وتنيسون وطاغور وبوذا وأندريه شينيه وهوراس .... وما لخواطر فى مقبرة وخواطر فى حديقة وخواطر فى الطريق وفى العمل ؟ ! أفلم يكن أخلق بهذه التراجم العالمية أن تستقل فى كتاب واحد يكون له خطره وفائدته ؟ !

وقل مثل ذلك فى القسمين الآخرين

هذا من حيث شكل الكتاب ، وإن يكن إغفال الصور — خصوصاً للمترجم لهم — قد شوه بعض جمال هذا العمل . أما من حيث موضوعه ، فأكاد أمدحه (على طول الخط) لولا هذا الغلو فى الدعوة إلى العالمية فى زمن تقوم فيه دكتاتوريات تريد أن تلتهم العالم وتذل الحريات . أجل ، إن الأخاء الانسانى الذى يراد أن يشمل قارات الأرض جميعاً حلم جميل ، ولكنه فى زمننا هذا يعتبر حلم الضعفاء والنَّوْكى والمهزومين ؛ ونحن فى عصر تنشد فيه مصر من أبنائها وطنية حادّة متأججة ، وطنية الدبابات والطائرات والغازات السامة التى هى أسلحة هذا الزمان الظالم المقاحم . . . الزمان الذى شهد بعينيه الكليلتين سقوط عرش أسد يهوذا تحت سنابك نيرون !

أنا أعرف أن الأستاذ نقولا رجل الأحلام والشعر والموسيقى ، ولن أنسى مطلقا رنين كمانه فى أذنى فى ليالى أسيوط القمرة ... ولكنى أوقظه فى غير رحمة ولا عطف ، ليقرأ بعينيه النفاذتين بنود المعاهدة المصرية الانجليزية ، والبرقيات المخيفة المزعجة عن تسلح الدول

لنعطف ولتسل نفوسنا رقة ورحمة ، ولكن على المصريين .. على أنفسنا ... أما على الثعابين والعقارب ، فلا !

وليثق الصديق نقولا أن ولز الذى مات فلم يشعر به أحد ، كما مات توماس مور فلم يشعر به أحد كذلك ، لابد أنه ندم على جميع طوبوياته التى كتبها . وليفكر الصديق نقولا أيضا فى مصر اليوم فقط ، أو إلى ما بعد عشرين سنة فحسب ... أما فى العالم بعد ألفين سنة ، فهذه أضغاث أحلام ...

عمل جليل لا شك يستحق من أجله نقولا يوسف ألف تهنئة ، وهدية سنية من المجلة الجديدة

دريني خشبة